



0149757



Bibliotheca Alexandrina

حياة الخالة

محمود تيمور

محمود تيمور

هزاء الخالدة

مستزاد الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالدمشق مسيزت ٩١٢٧٧
الطبعة النموذجية
أسكنة الشتا بوزن بالجمالية الجدمسدة

أشخاص القصة

عنزة	{ بطل قبيلة « بنى عبس »، وحامي ذمارها . في الثانية والعشرين من عمره .
عبلة	: ابنة « مالك »، تناهز التاسعة عشرة .
مالك	{ من أشياع « بنى عبس »، يتيّف على الستين من عمره .
الأمير معمار	{ رأس قبيلة « بنى زياد »، من دكندة ، وافر الشراء ، عظيم الجاه ، أكل الثلاثين من عمره .
عظم	{ راوية « عنزة »، ومذيع شجرة . يبلغ الأربعين . مريح النفس ، فيكّ الروح .
هند	{ صفيّة « عبلة » . في الرابعة عشرة من عمرها .
دعجاء	{ صاحبة « عبلة » . في الثامنة عشرة من عمرها .

- ٤ -

حازم } كبير الحاشية في بيت «مالك» . شيخ تقدمت
به السن .

أم هـرم : زوج «حازم» . مدبرة خباء «عبله» .

نجله : من صبايا الحى .

ابن فياض : من قبيلة «بنى عبس» . تاجر وحالة .

سراقة }
بجير } من رجال «بنى عبس» .
ابن الزاهد }

أردبيل : الأذن في بيت «عنقرة» .

سيف : فتى يحسن الغناء .

الفصل الأول

« يبدأ . . . الوقت : أسبيل . . .
خباء » عبلة « زاه بلونه العنابي ، تحف
به نجيلات . . . تترأى أمام الخباء رجة
في أطرافها أكمات ثلاث . . . تترأى
على مد العين أخبية متناثرة . . . » عبلة «
جالسة بباب خيائها تشجد سكيناً ومجانها
« دعجاء » بن يديها مفزل . . . » هند «
على رأس أكمة تتطالع »

عبلة : « هند ، أما تديننتِ لقادمٍ ظلاً ؟ ...

هند : « لم يقع بصري على أحد ...

عبلة : « عجباً . . . ماذا أبطأ به ؟ ...

هند : « وهي تحدد بصرها ، كأنى الملح بـيرأ يعدو ...

عبلة : « هيه . . .

هند : « ... يعتلي ظهره شيخ ...

دعجاء : « هند ، أنت كليلة البصر . . . عسير عليك

— ٦ —

أن تمزى العزة من البعير ... أنبلى ... خلّى
مكانك لي ...

هند : « لدعجاء ، أخصك الله بأكثر من عينين ؟ ...
« تستأنف تطلعها ، إنه لا محالة بديره على ظهره
شيخ ...

دعجاء : « ما شأننا بدير الشيخ ؟ ... « تلتفت إلى عبلة ، أما كفى
شجذاً ؟ ... لقد أصبحت السكين أحد من السيف ...
أربنى ...

« تعد يدها فتجذب السكين جذبة خاطفة
فتصيب كفها بجرح يسير »

ويلاه ! ... كادت تفرى يدي ...

هند : « هابطة إلى الحباء ، هذا جزاؤك ...

دعجاء : « ما أسرع لسانك إلى قول السوء ...

عبلة : « أما تفرغ لكما مشاحنة ؟ ... كأنكما ضرتان ؟ ! ...

دعجاء : « لم يبق إلا أن تكون ضرتي هذه الطفلة
الرضيع ؟ ! ...

— ٧ —

هند : « دلعجاء ، أكنت ترضين لك صرة كد عيلة ، ؟ »

« تشع دلعجاء بوجهها عن هند ،
استصناراً لها وزراية ، وتثيراً لمجرى
الحديث »

دلعجاء : « وهي تتأمل السكين في يدها ، مسنونة كـ « شفرة »
السيف ... »

عيلة : « بل أحدّ ، إني لا أفئا أشحذها كل يوم ... »

هند : « وفيه هذا العناء ؟ ... »

دلعجاء : « ضاحكة ، ألا تدركين يا طفلة ؟ ... إنها تشحذها
لتذبحك بها ... »

عيلة : « نحدق في هند باسمه ، أراضيه أنت بأن أذبحك ؟ ... »

هند : « متطلعة إلى عيلة بنظرات حب وسداجة ، ما أطيّب
أن نذبحني هاتان اليدان البضتان ! ... »

« عيلة تقبها في رقعة وحنو »

دلعجاء : « لهند ، أما أنا فساجعل منك شواء شهيأ ... »

عيلة : « ضاحكة تنظر إلى هند نظرة حذب ومحبة وتلاطف »

— ٨ —

ذقنها ، وعنترة يلتهم هذا الشواء ... أليس كذلك
يا صغيرتي ؟ .

هند : لا أحبُّ أن يأكلني عنترة ، وله تلك اللحية الكثَّة
المهوشة ١ .

« تطلق عبلة ضحكة وهي تعبت
بسكينها »

عبلة : حق ما تقولين يا هند . . . لا يجعل بعنترة أن
يطعمك إلا إذا أزاح عن وجهه لحيته
الكثة المهوشة . . . سأتي عليها في طرفة
عين . . .

هند : كيف ؟ ...

عبلة : هذه السكين حاضرة ١ ..

دعجاء : « لعبلة » تحسنين صنعا . . . إن لحيته تحيله شبحاً
مفرعاً . . .

هند : ولكنه بطل غضنفر ... إنه فاتن النساء ...

— ٩ —

دعجاء : دلهند ، أَيْتَهَ نساء تمنين يا طفلة ؟ ... كَأَن الحَيَّ

لَمْ يُرْزَقْ فَتَسَى غَيْرَ عَنْتَرَةَ ١٩

عبلة : « وقد وقفت قبالة هند ترنو إليها وتبتسم ، لله دَرَكُكِ

من حسناء ... عَيْنَانِ سَاحِرَتَانِ عَجِبْتُ لَهَا كَيْفَ

لَا تُحَسِّنَانِ الْإِبْصَارَ ؟ ...

هند : إِنْ بَصُرَى أَنْفَذُ مِنْ بَصَرِ النَّسْرِ ...

عبلة : دوهي ترمق عيني هند ، لِعَيْنِيكَ لَوْنُ الْعَسَلِ الْمُصَفَّى

دعجاء : « فِي دُعَابَةٍ وَسُخْرِيَةٍ ، إِنْ عَنْتَرَةُ يَحْلُو لَهُ لَوْنُ الْعَسَلِ

فِي الْعَيُونِ .

عبلة : دلدعجاء ، يَنْفِيْلُ لِي أَنَّ لِعَيْنِيكَ أَنْتِ أَيْضاً لَوْنُ الْعَسَلِ

يَا دُعْجَاءُ ! ...

دعجاء : أَحَقَّ ؟ ... لَمْ أَكْ بِهِنْدَ سَمِيَّةٍ !

هند : دلدعجاء ، أَصَابَتْ عَبْلَةً فِيمَا قَالَتْ ... لِعَيْنِيكَ

لَوْنُ الْعَسَلِ ، يَدُّ أَنَّهُ الْعَسَلُ الْكَدِرُ ...

دعجاء : دلهند ، مَاذَا تَقُولِينَ ؟

عبلة : دلدعجاء ، تَقْصِدُ هِنْدُ بِالْعَسَلِ الْكَدِرِ الْعَسَلَ الْغَنَى

— ١٠ —

بشمعه الأصيل ... إن الرجال يهوون هذا
الصنّف ...

هند : ولكنهم سرعان ما يزهّدون فيه !

« دعاء ترى هند بنظرة استنكار
وترفع »

دعاء : « لعبلة ، ولون عينيك أنت ؟ »

عبلة : « وقد دنت من دعاء تواجها ، أنعمى النظر فيهما ،
وتبينى لونهما ... »

دعاء : « تحديق عيني عبلة ، لا أستطيع أن أتبينَ لهما لونا ... »

عبلة : « تتضاحك ، عيناى لا لونَ لهما ! »

هند : « وهى تصعد بصرها فى عيني عبلة ، إنهما تزخران

بشتى الألوان الزاهية ، فيهما خضرة المروج ، وُصفرة
الذهب ، وُزرق السماء فى صحوها ... »

دعاء : « مستهزئة ، يالكشاعة ! ... »

هند : « عن عنزة أخذت بلاغة الشعراء ... »

عبلة : « ساهمة ، عنزة ؟ ... »

« تنهض إلى الربوة »

تلك أول مرة يخلف فيها مواعده ...

هند : « وقد تبعت عبلة إلى الربوة ، أمر خطير عاقب مقدمه لاحالة ! »

عبلة : « وقد ارتقت الربوة ، تسرح طرفها في الأفق ، ها هي

ذى الشمس تنحدر للغيب ولما يظهر له أثر ... لقد

أقسم أن يعود إلى بجلد الأسد ...

دعجاء : لعل الأسد قد تصيده ! ...

هند : « ومن يحصى الذمار ويدود عن الحى ؟ ... »

دعجاء : لن تدمم القبيلة من بذها حماة يا طفلة ! ...

هند : « ولدعجاء ، وأين كان هؤلاء الحماة يوم عدت علينا

فتاك بنى دُجيل الملقبين بالحر ، وعانت في أرضنا

فساداً ، وأعملت في ديارنا يد النهب والتخريب ؟ ... »

« وأين كان هؤلاء الحماة يوم كرّرت على مراعيها قطعان

الذئاب الضواري تستبيح ما لنا من إبل وأغنام ؟ ... »

« ألم يبرز عنقرة لهذه وتلك بعزمه البتار فيردها

على أعقابها مقهورة فزعة ، على حين تسالل حمائك

- ١٢ -

هربا في شعاب الجبل يحتمون بها احتماء الجرذان
بالشقوق ١٩ . .

عبلة : حسبك يا هند ... حسبك ا ...

هند : « مندفة لدعجاء ، ممن من هؤلاء الحماة خرج ليردّ
عنا غائلة ذلك الضرغام العنيد الذي ألف أن يطرقنا
كلّ يوم ليرجع بفريسة يتزعمها على أعيننا ، ونحن
صاغرون أذلاء ، لا يملك أحدا أن ينال منه
ثأراً ١٩ ...

دعجاء : لم يخرج عنقرة من تلقاء نفسه للإيقاع بذلك الضرغام ،
ولنما أذعن لأمر من عبلة ... !

« تضاحك »

عبلة : ما أمرت عنقرة بشيء ، ولكنها رغبة هجست بها
نفسى ابتغاء الحصول على جلد ذلك الضرغام ؛
لكى أتخذ منه بساطا في خباتى ، وقد كاشفت عنقرة
برغبتي ا ...

دعجاء : فما أسرع أن هبّ ينفذ ما ترغبن فيه . . . الإشارة

— ١٣ —

منك أمر مطاع ... ولكن اعلى أنك بعثت به إلى ...
الردى ا ...

عبلة : لا يعنينى إلا أن يمخضير لي جلد الصرغام ا ...
هند : سيجيك به ا ...

عبلة : « كالتاجية نفسها » ويحي ا ... ماذا تقول نساء الحى ...
إذا آب عنترة صفر اليدى مما طلبت ؟ ...

« بأخذ بصرها « حازما » وهو مقبل . . «
أنت هنا يا حازم ؟ ... ماذا وراءك من نيا عنترة ؟ ...

حازم : الحى أجمع فى خيشرة من غيبته المرية ... أنشى ...
أن يكن قد ألم به مكروه ... إن الصرغام اشديد ...
المراس ا ...

عبلة : وأين راوية قصيده عظمم ؟ ...
حازم : شاخص على أطراف البيداء بجوار نع الثريا ينتظر ...
قدومه ...

عبلة : أهذا كل ما فى جعبتك من الأخبار ؟
حازم : لقيت فى طريقى ركب الأمير معماره

- «رأس قبيلة كندة؟...»
- دعجاء : أمير عريض الجاه ، موفور الشراء ... فطمح أنظار
النساء في البادية ...»
- هند : لم لا تحتالين لحظته؟...
- « تنظر إليها ذمعا شذرا ... »
- عبلة : « لحازم ، آية وجهه يغني الأمير ياترى؟ ...»
- حازم : يغني مضارب خيام بنى ثعلبة ، بيد أنه سيمر بنا ليرد
لفاءنا ...» ولقد سألته عن عنتره ، فقال : لعل
الضرغام ابتلعه ...»
- دعجاء : إن شأن عنتره والضرغام قد شاع وذاع ، وملأ
البقاع ، وتسامعت به الركبان في كل مكان ...»
- عبلة : « مهمة ، : ويل له إن أخفق ...»
- « عبلة : « حازم ، في لحظة الأمر ... »
- أخرج في نفر من أهل الحى لاستقبال الأمير عماره ،
وأكرموا وفادته ...»
- حازم : سمع وطاعة ...»

« ينصرف حازم »

عبلة : إذا بام بالحيلة ذمبت أصداء قصيده الرنان في أدراج

الرياح ا... ا...

هند : أؤكد لك أنه لن يفيب طويلا ...

عبلة : « محزنة » لقد أخلف مواعده وكفى ا... ا...

هند : الغائب عذره معه ...

عبلة : أى عذر يكون ؟ ... لقد واعدت نساء الحى أن

أريهن اليوم جلد الضرغام ... وإخامن مقبلات على

خبائى بعد هنية ... فأين جلد الضرغام ... أين ا... ا...

هند : ألا يشفع لعنترة عندك مايقوم به ابتغاء مرضاتك ؟

إنه لا يفتأ يغدو إليك بالحليب كل يوم غير

متخلف ا... ا...

دعجاء : ليس هذا بالأمر العسير ... تحمل قعنب من الحليب

لا يرهق أحداً ا... ا...

هند : إن الحليب يحمله الخدم والموالى إلى السادة . . . أما

الفوارس الشجعان ...

دعجاء : « ساخرة ، فيضربون في الفياقي : يصرعون أسودها ،
ويسلخون جلودها ... ! »

هند : « لعيلة ، عجبت لك كيف تسمعين هذا القول
ولا تتصدّين لدفعه ؟ ... أيجازي عنتره منك بأن
تناله الألسنة بالسخرية دون أن تكوني له نصيراً ؟ »

دعجاء : « لهند ، حسبته اتصارك أنت له ... ! »

« لعيلة »

أخشى أن تكون هذه الطفلة منافسة لك في حب
عنتره ...

عيلة : أهلا بها منافسة حبيبة ...

دعجاء : ما أظنّها إلا والهة مدلّية بحبه ! ...

هند : إني به معجبة ، وإني بهذا الإعجاب لمعتزة ...
أما أنت ؟ ...

دعجاء : ماذا يا طفلة ؟ ...

هند : « لدعجاء ، إنه عنك في شغل ... ولا أزيد ! ... »

دعجاء : « تتصاحك ، لن أنوّه فتيلاً من إعجابي إلا إذا خلا

— ١٧ —

وجهه من لحيته الشعثاء ! ...

عبلة : كفتّا عن الكلام ... ركبُ الأمير عمارة يقترب ...

دعجاء : الأمير عمارة قادم ...

« تلثم »

هند : « لدعجاء ، لم اللثمُ يا دعجاء ؟ ... »

عبلة : لتغدو للعيون فتنة ! ...

هند : تحذق دعجاء انتهازَ الفرص ...

« يبدو حازم »

حازم : « جهورى الصوت ، الأمير عمارة الكندى ... »

« يقبل الأمير في حلة موشية فاخرة ،

متقلداً سيفه المرمم الوضاء ، تتبعه الحاشية

والأحراس »

عمارة : « لعبلة ، طاب يومك يا بنته سيد الحى ... »

عبلة : « للأمير عمارة ، طبتَ وسلّمتَ . . . شرفتْ

بمقدمك الديار ، وحق لها الفخار . . . وددت لو كان

أبى حاضرأ ليغنم لقاءك ...

عمارة : أين هو ؟ ...

- ١٨ -

- عبلة : خرج إلى الحيرة يزور ملكها المنذر ...
- عمارة : يسوءنى ألا أراه ... ولكن فى رؤيتك عوضٌ أى
- عوض ... سأتبقى ريثما يستقى الركب ...
- عبلة : حملت أهلاً ، ونزلت سهلاً ، أيها الأمير ! ...
- « تشير إليه بالجلوس ، فيجلس ... تقول
- لـ « حازم » »
- علينا بصحاف المجيع ، وجفاف الثريد ، لضيوفنا
- الكرام ...
- حازم : السمع والطاعة ...
- « بنصرف حازم »
- عمارة : علمت من الشيخ حازم أنكم تضاءلون عن عنقرة ...
- يبدو أن اهتمامكم به شديد ! ...
- عبلة : وهل فى هذا من ضئير ؟ ...
- هزند : إنه فى القبيلة الهام ، وفارسها المقدام ...
- عمارة : « لهند ، إنه لكذلك حقاً . . . » لعبلة ، موفق الحظ
- هذا الفقى الذى يظفر بعطف نتيات الحى ، ولاسيما
- عطف درة القبيلة بلة ! ...

— ١٩ —

عجلة : أشكر للأمير ثناءه ... أكبر ظني أن عنزة عائد إلينا
موفور الفوز ...

عمارة : إن الضرغام غلابٌ غضوبٌ ، ما ساوره
فارسٌ إلا افترسه ... لم ينجُ حتى اليوم من برائه
أحد ...

هند : سيفتريك عنزة بهذا الضرغام ...
عجلة : لقد أفسم أن يحضر لي جلده ، وما عهده في
قسمة حاشا ...

دعجاء : ها قد أدبر النهار ، ولما يُقبلُ عنزة ا ... لقد
وعد بأن يحمل إلينا جلدَ الضرغام ، والشمسُ متوسطة
كبدَ السماء ...

« يدخل حازم بصحاح الجميع وجفان
الثرید ، فيلف حولہ الجم . . . »

عجلة : « متحدية ، إنه لعائد بجلد الضرغام ... لا محالة ا ... »
عمارة : عنزة شاعر فحل ، متردد اليدي قصاده التي تغشى
فيها بحسك البارع ...

— ٢٠ —

هند : إن اسم عبلة يسرى في الخافقين ، يترنم به الناس في
شعر عنزة الفياض .

عبلة : ما أسعدنى بأن أكون مُلهمة روائع القريض ...

دعجاء : وماذا يكون من أمر عنزة إذا تعطلت شاعريته ؟

عمارة : يَسْقَى له طول قامته ، وسواد لونه ا

هند : بل يَسْقَى له حد سيفه البتار ا ... ولكنه سيظل
شاعراً ، ولا سم عبلة ذاكر ا ...

عمارة : ولعبلة ، مهما يصنف عنزة من حسنك فين وصفه

وبين الحقيقة أبعاد وآحاد . . . إن الحقيقة

تلوح له كالسراب ، كلما خف إليها ترامت عنه ...
إنه يقول :

ولقد ذكرتُك والرماحُ نواهل

منى وبِبيضُ الهند تقطر من دمي

فوددتُ تقبيل السيوف ؛ لأنها

لمعت ككبارق ثغرك المتبسّم

فأين لمحةُ السيف من وضاعة هذه الثنايا المفلسجة ،

— ٣١ —

هذا الجثمان المُنَصَّد المتألق تألقَ ندى الفجر على
صفحة الزهر . . .

عجالة : لآى الأمرين جئتَ أيها الأمير : لتغول أم
لتستقى ؟ ...

عمارة : جئتُ أستقى لقلبي من نبع الفتنة والسحر ! ...

« ينظر إليها وتنتظر إليه ... يقسم
كلما ... كتائب الظلمة تلقى ظلها على
الكون ... تظهر أم هرم »

أم هرم : احتشدت نسوة الحى من أهلك وجيرتك يستطلعن
نبأ جلد الضرغام الذى وعدك به عنقرة ...

عجالة : « مهمة » جلد الضرغام ... ليتنى أستطيع أن أبسط
هذه جلد عنقرة يستمتعن بمראה ...

« تتوافد نسوة الحى فيملأن الرحبة ...
تقدمن نجلاء »

نجلاء : ألم يأت عنقرة بجلد الضرغام ؟ ...

عجالة : لم يأت بعد . . .

نجلاء : إني ليخامرني الريب في نجاح هذه المغامرة ...
 هند : أيّ ريب تقصدين يا نجلاء ؟ ...
 نجلاء : من يدري لم يخرج ؟. التصيّد الضرغام ، أم لاقتناص
 المها والخزلان ؟ ...

« النسوة ينفعن ضاحكات . . . »

يبدو لي أنها حيلةٌ خُدع بها قلبك الرقيق ! ...
 هند : « لنجلاء ، أأصابك مس فجعاتٍ تخاطين ؟ ... »
 عبلة : فيم هذا التّشّاقش يا صويحبات ؟. الخطب هيّن ... مالنا
 الآن ولعنّزة ولجلد الضرغام ؟ ... ألاّ تعلن أنّنا
 في حضرة الأمير عمارة الكندي رأس بني زياد ؟ ...
 « تشبه لي الأمير عمارة . . . »

النسوة : « خافته أضواتهن يرددن ، الأمير عمارة الكندي ؟ ... »
 الأمير عمارة الكندي ؟ ...
 نجلاء : عمّ مساء أيها الأمير ... شُرّفت ديارنا بمقدّمك
 الكريم ...

عمارة : إن اغتباطي بكنّ فوق أن يوصف ! ...

عبلة : إن قدوم الأمير علينا عيدٌ أى عيد ، فلنقم له
مَهْرَجًا نَتَحَدَّثُ بِهِجَتِهِ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ .

عمارة : أنت تُفَعِّمِينَ قَلْبِي حُبُورًا ، وَتَمْلِئِينَ نَفْسِي زَهْرًا
وَحُبَّيْلًا ...

عبلة : « صَائِحَةٌ ، انْحَرُوا الذَّبَابُخَ ، وَأَوْقِدُوا الْمِشَاعِلَ ،
وَأَعِدُّوا الدَّفُوفَ ، وَادْعُوا الْفَقِيَّ سَيْفًا الْمَغْنَى ...
اعْبَجَلُوا ...

« يَعْضِي بِهَضِ الْفَتَيَاتِ وَالْحُدُمِ لِإِحْضَارِ
مَا طَابَتْهُ هَبْلَةٌ »

عمارة : وَلِمَاذَا دَعَوْتَ بِذَلِكَ الْفَقِيَّ الْمَغْنَى الْمَسْمُومَ سَيْفًا ؟ ...
عبلة : لَيْشُدِّنِي بَعْضُ الْحَنَانِ ...

عمارة : هَلْ لِي أَنْ أُنَمِّيَ عَلَيْكَ ؟ ...

عبلة : تَمَنَّيْتُ مَا شِئْتُ ...

عمارة : تَتَشَدِّدُنِي أَنْتِ أَغْنِيَةً مِنْ أَغَانِيكِ الْعِذَابِ ! ...

عبلة : تَرِيدُنِي عَلَى أَنْ أُغْنِيَ لَكَ ؟ ...

عمارة : إِذَا عَدَدْتَنِي لِذَلِكَ أَهْلًا .. تَتَاهَوَّنِي إِلَى نَشِيدٍ صَاغَهُ

لكِ عنتره ، فأحسنيت غناؤه ...

عبلة : سأشذكِ إياه ...

هند : أغنيتين هذا النشيد حقاً ؟ ...

عبلة : وماذا في هذا يا هند ؟ ...

هند : دمتاجة ، أذكركِ عهد الغائب الذي ألقى بنفسه

في التهلكة من أجلك ...

عبلة : ذلك الغائب لم يرع لنا عهده ...

« تقبل الفتيات حاملات الدفوف

والمشاعل ، بينهن الفتى سيف »

هند : بعداً لهذا ... لا أطيق أن أشهد حفلاً تذبجون فيه

عنتره ! ...

« ترح المكان مهرولة »

عمارة : عجباً لسلطان عنتره على بنات هذا الحي ! ...

دعجاء : لا تعجب أيها الأمير ... إن في عينيه وميضاً يفتت

الصخر الأصم ...

عبلة : أقصروا عن ذكر عنتره ... فلنبداً مهرجاناتنا ...

« تنادى ، يا سيف ...

« يتقدم الفتي الغني سيف »

عمارة : نَحُوا سيفاً هذا ! ... أردت أن ...
 سيف : لستُ أيها الأمير بسيف قاطع ، وإنما أنا صدى
 'مثلهم' الحدّ .
 عمارة : لا أبالي السيوف على أى نحو تكون ... عَنَيْت
 أن تغنّيني عبلّة نشيداً العذب الجميل ! ...
 سيف : تشركني عبلّةٌ كثيراً فى غنائها ، فإذا ما اندفعنا نغنى
 معاً خلّصتني عبلّةٌ وِخلّت عبلّة سيفاً ، فعبلة أنا ،
 وأنا عبلّة ... و ...
 عمارة : خَسْتُ أيها السيف المحطّم ! ...

« عبلّة تتضحك »

عبلة : اضربن بالدفوف يا صويحبات ، واعقدن حلقةَ
 الرقص مبهجات ... « للأمير عمارة ، : سأشذك
 ما رغبتَ إلى فيه ... »

« تنشد وعينها ترسل إليه نظرات

إغراء »

أنت للعين ضياءُ أنت للروح دواءُ
أنت يا عبلة أنس لفؤادى وهناءُ
أنا لا يهدأ شوقى فى بعاد أو لقاء
طيفك المحبوب مُشغلى فى صباح أو مساء
حينما تَرْضَيْنِ عني يملأ القلبَ الرجاءُ
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكونُ صفاءُ
وإذا بي فى جور وابتهاج واردةاءُ

* عبلة تنفى بهذه الأبيات ، والفقى سيف
يتابعها فى الإنشاد . الفتيات يشتركن معها
فى الفناء ... تنعقد حاقة الرقس من التيان
والفتيات ... الأمير عماره تسرى فيه
نشوة الطرب ، فيدلف إلى الحلقة ، ولا يلبث
أن يأخذ بيد عبلة ، فتتردد لحظة ، ولكنه
يحملها على الرقس معه ، فتقبل عليه . . .
يتراقصان على إيقاع الطبل والدفوف . . .
تنبعث من الربوة على حين بفتة صبيحة عالية
تتلوها صبيحات ... عنثرة يثب إلى الحلقة ،
كأنه شهاب يهوى من السماء . . . الجمع
فى هرج ومرج . . . عنثرة يدفع الأمير
عماره بجمع يده ، ويجتذب إليه

عبلة . . . سرعات ما تبدو هند

إلى جانب عنبرة »

عنبرة : « وقد امتشق حسامه ، إن كنتَ ذا بأس قادراً

عن نفسك ، قبل أن يطيحَ سيفي برأسك !... »

عمارة : « وقد استل سيفه ، أتعلم من تُنازل ؟ ... »

عنبرة : لا يعني أن أـلم ... فلتكن من تكون ! ... »

عبلة : « وقد تطلق مجاها ، داهو ذا جلدُ الصُّرغام !... »

« : نو من عنبرة ، فتحول بينه وبين

الأمير عمارة »

إنه الأميرُ «عمارة . . . ضيفك . . . فاعرف

واجبك له ... »

عنبرة : « الأمير عمارة ، ليـمـلـك سيفي جزاء من يمتن

أدبَ الضيافة !... »

عمارة : ليس مثلي من يمتن أدبَ الضيافة ... »

« أهل الحى يلتفون حول عنبرة ،

ويتهامسون مهدئين من ثورته ، مشيرين

عليه أن يلزم جانب الملم »

عنزة : « على الصوت ، إذن فليرتحل عنا ... »

« يجتمع قهر من أهل الحى بالأمير عمارة
ورفاقه ، فيتسارون »

عمارة : سنلتقى يا عنزة يوماً ! ...

عنزة : « صائحا ، سنلتقى لا مَنَاص ... »

« ينصرف الأمير عمارة ومن إليه من
الحاشية والأتباع ... يتقدم عنزة من عبلة
صامتا قد شمع بأنفه ، فيلقى أمام قدميها
جلد الضرغام »

عبلة : « مخاطبة بنات الحى ، ذلكنَّ يا صويحبات جلد

الضرغام ... تعالينَ انظرنه ... قلبنه بين أيديكن
لتتيسن أن عنزة أنجز لى وعده . . . »

« العتبات يتهاقن على جلد الضرغام
يتفحصه ثم ينصرفن بين مهمهمات
ومصيحات ، ولا يبقى منهن إلا دجاء وهند »

عبلة : « لعنزة ، إليه فارس بنى عبس ، وسيد محمات

الحى ! ... من سجايا الفتى الكريم أن يمنح من بشر

— ٢٩ —

وجهه وإيناس نفسه أضعافَ ما تمنح يدها ا... ا

« عنزة متغضب متأف في صمت . . »

عبلة : « متوددة ، عنزة ا... ا... عنزة ا... ا...
عنيتري ا... ا

« تقبل عليه ، فيتراع عنها متاييا . . »

فارسي ا... ا بطل المظفر ا... ا

عنزة : وما ذاك يا عبلة ؟...

هند : « مبتهجة ، لقد تكلم . . . لقد تكلم ا... ا

دعجاء : وهل قالوا إن عنزة فقد لسانه ؟...

عبلة : « دانية من عنزة ، فيم هذه الغضبة التي تمازج

صوتك ؟... ا كذا تلقى من تحب ا ؟... ا

هند : « مبتهجة ، نعم ما قلت . . . مرحلى . . . »

مرحلى ا... ا

عنزة : « لعبلة ، تنتظرين أن أمد لك ذراعى ، وقد كنت

مند هنية بين ذراعى ذلك الوغد ا ؟... ا

— ٣٠ —

- عبله : ما أعظم حبك إياي ! ...
- عنتره : « لعبله ، وقد أنشدته نشيدى ! ...
- عبله : « ملقية نظرة توصل إلى هند ، كرامة لهذه الصغيرة فملت ... ألحّت على طويلا فاستجبت ! ...
- هند : « حيزى خافضة البصر ، كان لزاما علينا أن نرحب بضيف الحى ...
- عبله : « وقد أمالت رأسها على صدر عنتره ، أسمعت ؟ ...
- بحقك عندى لم أنشده نشيدك ابتغاء مرضاته ! ...
- « ندامب لحينه »
- أما زلت حانقا على يا طفلى الغضوب ؟ ...
- دعاء : « مخممة مغيظة ، يا للمهزلة ! ...
- « تمضى مجلة »
- عبله : « ورأسها على صدر عنتره ، وهى تربت خده ، كيف باغتتنا ولم يشعر بك أحد ؟ ...
- عنتره : « كما باغت الضرغام فى عرينه ، فلم يشعر إلا بأظفارى وقد شسبت بدنته ...

— ٣١ —

هند : يالك من بطل ... بكفك تصرع الأسد ؟...
 عبلة : ماذا أبطأ بك ، وقد وعدتني أن تثوبَ في الظهيرة ؟
 عنتره : ساورت الأسد وقتاً ، حتى أُلجأت إلى عرينه ! ...
 عبلة : ولماذا لم تصارعه في براح البيداء ؟...
 عنتره : خشت أن أضطرَّ إلى معاجلته بضربة سيف ،
 فيذنبُ جلده ... وقد أقسمت أن أسلمَ إليك الجلدَ
 صحيحاً لا خدش فيه ! ...

هند : عجبت كيف لم يبرأك الله أسداً ؟...
 عبلة : إنه الأسد عينه ... تلك هامته الضخمة ، وذانك
 ساعدها الباطشان ... وما هذه اللحية الكثنة
 إلا لبدة الأسد ! ...

« تداعب لحيته ، يتضاحك عنتره وهند »

هند : « محدقة في ذراغ عنتره ، لقد ظهر الدم على ضماداتك
 من نَزِّ الجرح ... ألا تغيرُها ؟...
 عبلة : أجريج أنت ؟...

« ترنوا إلى ذراعه »

— ٢٢ —

- عنتره : إنها ضربة طائشة أراذني بها الضرغام وأنا أساوره ،
فلو فالتني برائته بعنفها لما كان لي إلى الحىّ مردّ ... ١
- عبلة : لقد أنجأك الله منها ، فسدتَ ورجعت ...
- عنتره : رجعت لكي تطالعَ عيني أولَ ما تطالع وجهَ أميرك
عمارة الكندي ١ ...
- عبلة : مالنا ولهذا الأمير ؟ ... أتغار منه ؟ ...
- عنتره : ما أعجب أن تسأليني هذا السؤال ١ ...
- هند : « لعنتره ، وهبشكَ عبلةُ قلبها ، وعن سواك
صاتته ١٩ ...
- عبلة : أسمع أنت ؟ ...
- عنتره : هذا قولها ١ ...
- عبلة : يا للجدود ١ ... وقولي أنا ، أما كاشفتكَ به
مرات ١٩ ...
- عنتره : ليتك تسمعيني إياه الساعة ، فإنني لا أمل سماعه ١ ...
- عبلة : « وعيناها موصولتان بعينه ، أحبك ...
- عنتره : « منتشيا ، أعيدى قولك على مسمعي ١ ...

— ٢٣ —

بالله أعيدى ! ...

عبلة : أحبك ! ...

عنتره : زيدينى ؟

عبلة : أحبك ... أحبك ...

هند : حسبك ... ! « لعبلة » لوطاوعته لما انتهت من التكرار أبد الدهر ! ...

عبلة : « لعنتره » ، إذا رغبتُ إليك أن تقولها لى ، فكم مرة تستطيعُ أن تعيدها على سمعى ؟ ...

عنتره : أفى حاجة أنتِ إلى سماعها ؟ ... إن كلَّ لفظة تنبِسُ بها شفتاى فى جدِّ أو هزل لتتنطوى على حوى إياك ، وإن كلَّ عمل أقوم به فى سفر أو حضر ليحملُ لك خضوعَ المحب وذلَّ المستهام ! ...

هند : هذا حق ... « لعبلة » يكفيكِ منه أنه يحتلب النعاج يديه ، ويباكرك بقَّعب اللابن لا يتخلَّفُ أىَّ صباح ... عمل لا يرتضيه لنفسه إلاَّ الأرقاء ! ...

عنتره : « لعبلة » ، أخبريني : ماذا تبغين منى فوق احتلاب النعاج ؟

هند : « لعنتره ، وأنا ... أليس لي أن أسألك شيئاً ؟ ... »

عبلة : بدأ قلب الصغيرة يفتتح يا عنتره ... حذارٍ من
غيرتي حذارٍ ! ...

عنتره : ليتني أجد الوسيلة إلى إثارة هذه الغيرة ...

هند : ألا تجدني أهلاً لأن أثيرَ غيرتها ؟ ...

عنتره : « لهند ، ما أحبُّ إلىَّ أن تكوني لذلك أهلاً ...
« مداعباً ، سلى ما بدا لك ! ... »

هند : أسألك أن تحضر لي ... أن تحضر لي

« متحيرة »

عبلة : أحضر لها أسداً ...

هند : « صائحة ، أجل ... أسداً ... أسداً ... »

عبلة : أسداً من عجوة ...

عنتره : « متصايها ، من عجوة ؟ لا ... لا ... إنك تعجزيني
يا هند ! ... »

« يتفاحكون »

عبلة : « متدلة ، إن إليك مطلباً ! ... »

— ٣٥ —

- هند : سوى جلدِ الضرغام ؟ ...
- عبلة : « لعنّرة ، إنه المطلب الأخير يا عنّرة ...
- هند : مطالبك لا تنفد ا... !
- عنّرة : « لعبلة ، أفصحى عن حاجتك ... فذاكِ روحى ...
- عبلة : وعدتُ بهذا المطلب بناتِ الحى كُتّهن ...
- عنّرة : ما هو يا فتّاننى ... ؟ ...
- هند : « لعنّرة ، تجعل الجبل ينقل إليها ، وينقاد لها انقياد البعير ا ...
- عبلة : « لعنّرة ، ليس مطلبي عليكِ بعزير ...
- عنّرة : من أجل عينيك كلُّ صعب يهون ...
- عبلة : « تداعب لحيتّه ، مطلبي أن ... أن ... تخلق لحيتك ا ...
- عنّرة : « دهشا ، لحيتى ؟ ... لحيتى أنا ؟ ...
- عبلة : « وما برحت تلاطف لحيتّه ، نعم ... لحيتك أنت ا ...
- لحيتك هذى ا ...
- عنّرة : لم أظنُّ إلى ما تقصدين ا ...
- عبلة : الأمر جليّ يا عنّرتى ... أردت أن تخلق

— ٣٦ —

لحيّتك من أجلى ...

عنّرة : ولمَ ؟ ... لمَ ؟ ...

عبلة : « دلال ، إنها كالدهلّ غلّ المشتبك ... شعرها كسنونو

النصال ... لطلما آذاني ...

عنّرة : ولكن ... ولكن ...

عبلة : أتجنّبي ؟ ...

عنّرة : أفى ذلك ريب ؟ ...

عبلة : فلتحلّق لحيّتك إذن ...

عنّرة : أما من ذلك بد ؟ ...

هند : لا بدّ من ذلك ... لا بدّ ... لترى عبلة مبالغ جَبَّك

إياها ! ...

عنّرة : « لهند ، أيتها الماكرة الصغيرة ... هيهات أن أحضر

لك الأسدَ المصنوع من العجوة ؛ بل سأحضر لك

شِبلا فسطيجاً يتسلل إلى خيبتك ، فيلاعبك بيرائه

اللطاف ! ...

عبلة : « لعنّرة ، علام عولت ؟ ...

- عنتره : « لعنتره ، سأتدبر الأمر ... »
- عبلة : الأمير عمارة لم يتوان في الإذعان لما أردت ...
- عنتره : أحلق من أجلك لحيتَه ؟ ...
- عبلة : كاد يفعل ، لولا أنك هبطت علينا فجأة ...
- هند : « وقد تناولت سكينة عبلة من مكنها ، بهذه السكين
أوشك الأمير عمارة أن يحلق لحيته ... »
- عنتره : « وقد انتزع السكين من هند ، هاتهما ...
« يتعسس لحيته مهمما »
- حقاً إنها للحية كثرة يغيضة ... شعرها كالنصال !
- « عبلة ، لظالمات آذنت وجنتك الذنبة ... سأتي
عليها ... ولكن بشرط ! ... »
- عبلة : « في تأمر وصلابة ، بل دون أى شرط ... »
- عنتره : « صائحاً ، قبلت ! ... »
- « يهرع إلى الجباء ، فيغيب فيه ... »
- « يبدو عظمم راوية عنتره »
- عظمم : « محيياً عبلة وهنداً على نحو يشير المرح ،
أبيري الفاتنة عبلة . . . طفلتي الظريفة هند . . . »

— ٢٨ —

كيف حالكما ؟ ...

عبلة : أحسن حال ... وأنت يا عظمم ؟ ...

عظمم : شقينا زمناً بمصاولة ذلك الضُرغام العتيّ ... ثم
أصبنا منه مقتلاً بعد لآي ...

هند : أكان لك في القتال نصيب ؟ ...

عظمم : أفى ذلك تشيكيّين يا ظريفتي ؟ ... هل غاب عنك

أن عظمماً يحسن الصيد في الفلوات ، وامتشاق

الحسام في ساحة الوغى ؟ ...

هند : ما عهدناك إلا راوية لعنقرة ... تخزن في صدرك

قصيده الرائع ! ...

عبلة : « لعظمم ، وتلازم ركابه طوال يومك ...

عظمم : ولكن لا تنسى يا أميرتي أنني أيضاً عضدّه الأيمن

في الطعان والضرب ! ...

هند : وأين كنت يا فارسي المغوار حين مضى عنقرة يوابب

الأسد ؟ ...

عظمم : كنت أجوب الوهاد والنّجاد هنا وهناك نافضاً

- رما لها وصخورها أقتنى أثرَ ذلك الغرغام الشرود ...
- هند : بل كنتَ منزوياً خلف صخرة مشرفة ترقب منها عنقرة
وهو يصول الأسد ... لقد عثروا بك وقد أخذ الفزع
منك كل ما خذا ...
- عظمم : كذب المرجفون ... « لعبلة » أتصدقين بربك
هذه الفسرية ؟ ...
- عبلة : إني أصدق فيك أمراً واحداً يا عظمم ...
- عظمم : هو أنني سيف عنقرة المصلمت على رقاب أعدائه ...
- عبلة : بل انك الطبل الأجوف يقرعه عنقرة فيملاً الجو
بالدوى الصاخب ...
- عظمم : مولاني الفاتنة تغمط حقى وتبخسنى قدرى ... أن لى
أن أغضب ... هأنذا غضبت ... سأرفع إلى مولاي
ظلامتى ... أين هو ؟ ...
- عبلة : دخل عنقرة الحباء ...
- عظمم : ماله وللخباء الساعة ؟ ...
- هند : ذهب يخفّ قليلاً عما عليه ...

— ٤٠ —

عظمم : أئمز مع التخفيف من ثيابه ، وقد أقبل الليل ؟ ...
 عبلة : لن يخفف من ثيابه ... تريثْ ترَ عجباً يا عظمم ! ...
 هند : أىَّ عجب ؟ ...
 عظمم : « لعبلة ، أصدّقينى : أين عنتره ؟ ...
 عبلة : ألم أقل لك فى الحباء ؟ ...
 عظمم : إنى ماض إليه ...

« بهم بالسير »

عبلة : « ترده » هو عندك فى شغل ، فالبث مكانك ! ...
 عظمم : لا يشغل عنتره عنى أىُّ شاعل ...

« بهم بالسير »

عبلة : قلت لك البثْ مكانك ... إن فى يده سكيناً أحده من
 حسامه « الظامى » ...
 عظمم : أيقاقل بها ضرغاماً آخر ؟ ...
 عبلة : يقاقل بها أبوة عاتية يتضائل إزاه الضرغام خزياً
 وضغاراً ...
 عظمم : يا للعجب ! ...

— ٤١ —

عنتره : « من داخل الحباء ، عبلة ... » عبيلة ... عُبيلاتي ! ...

عبلة : « ألم تأت بعد على تلك العدوّة اللّسّود ؟ ...

عنتره : « من داخل الحباء أيضا ، إني أقذف بها في عُرض

الحباء ... لا رجعة لها بعد الآن ! ...

« عطلم يستم دهنأ ... بعد لحظة

يدو عنتره حليق الاجية ، ياسطأ لعبلة

ذراعيه »

عنتره : « كيف تَـرَينني عُـبيلة ...

« نحدق فيه عبلة صامتة ، ثم تهفو

على شفيتها ابتسامة يلح فيها عنتره وميض

السخرية »

أسألك كيف تَـرَينني ؟ ...

« عطلم فاجر فاه ، شاخص ببصره

إلى عنتره »

عبلة : « في فتور ، أتريد الحق ؟ ...

عنتره : « قولي ... قولي ...

- ٤٢ -

عبلة : لم أكن أقدر أن تستبينَ على حياك سمات الأنوثة
على هذا النحو ...

عنتره : ماذا تقولين ؟ ...

هند : « لعنتره ، شديداً كانت لبيتك تخفي منك هذه الوسامة ! »

عنتره : « لهند في حيرة يشوبها الغضب ، أمتى تسخرين ؟ ... »

هند : « وحققك ما كذبت ولا سخرت ! ... »

عنتره : « لعبلة ، أفصحى ... ، تكلمى بغير ما بدر منك ... »

عبلة : « لعنتره ، ليتنى ما رغبت إليك فى أن تنزع هذه
اللحية المهيبة ! ... »

عنتره : ألم يكن شعرها كسنون النصال ، تتأذى به وجناتك
النضرات ؟ ...

عبلة : ولكنها عنوان الرجولة ، ومظهر الفتوة ...

هند : متى كانت الرجولة بالشوارب واللحي ؟ ...

عنتره : « لعبلة ، أخطأت إذن فى الاستجابة لك ! ... »

عبلة : لست أدرى ...

عنتره : كيف ؟ ...

— ٤٣ —

- عظمم : « بحجبا ، يا الله من الأعيب النساء ا ...
عنتره : « لعظمم ، وأنتَ ... ماذا ترى منى ؟ ...
عظمم : « متلعثما ، أرى ... أرى ...
عنتره : « صانحا ، تكلم ا ...
عظمم : أرى عنتره ... وكفى ا ...
عنتره : حلفت لتصارحنى برأيك فى ...
عظمم : ما كتمت عنك رأى قط ...
عنتره : إنك لتكتمنه عنى الساعة ...
عبلة : « لعنتره ، ليس فى طوقه أن يجاهر بك بجليّة رأيه ...
عظمم بالرتاء خليك ا ...
عنتره : بل بالعقاب جدير ا ...
عظمم : مولای ...
عنتره : « وقد مدّ يده بالسكين لعظمم ، ادخل الحجاب
وانزع عن وجهك ورأسك كلّ شعرة فيهما ا ...
عظمم : مولای ا ...
هند : أيجلق شعر رأسه ولحيته وشاربه جميعاً ؟ ...

عنترة : « صائحاً ، وحاجبٍه أيضاً ا ... » لعظمم ، ...
إياك أن تخرج إلينا وفي وجهك ورأسك شعرة
واحدة ا ...

عظمم : ناشدتك الله أن ترحمني ...
عنترة : « يلقى إليه بالسكين ، انصرف عني ، وأتدمر بأمرى ا
« عظمم يتناول السكين بيده ... يعضى
إلى الجباء ، وهو يحرق قدميه جراً . . . »
هند : « تلحق بعظمم ، لا تجزع ... سأعينك على أمرك ...
اطمئن إليّ ا ...

عظمم : « وقد وضع على كتفها يده ، بورك فيك ...
« يعضيان »
عنترة : خدعتني يا عبلة ا ... إلى متى تسوميني هذا العذاب ؟
عبلة : أىّ عذاب سومتك ؟ أهو التماسي منك أن تحقق لي
بعض الأمانات الهينات ؟ أهو اختصاصي إياك بحبي
وبرحمى لك بمكنون قلبي ؟ ... أهو إباحتي لك
أن تشبب بي ، حتى تنأثر في الأقاريل وأصبح
اسمى حديث الناس ومُضغّة الأفواه ؟ ...

عنتره : لقد بذلت كثيراً من أجلكِ ا...!

عبلة : « ساخرة » بذلت كثيراً ... لحية شعشاء إن فقدتها
اليوم فلن تفقدها غداً ، وجلد ضرعام قدّمته إلى
لا يتعذر على أحد من مقابلة الحى أن يأتى بمثله :
ذلك كثيرك الذى بذلته من أجلى ... أما أنا فن أجلك
بذلت أعزّ ما تضمن به كل فتاة على أى أحد ...
بذلت سمعنى ... سمعنى ا...

عنتره : حرصت على أن أسبغ عليك صفات البهاء
والرؤواء ا...

عبلة : ولكنك حرصت أول ما حرصت على أن تبلغ
المجد بسم أعددته لك ... بل إنى لأدفعك إلى الصعود
فيه دفعاً ... لولا شغفك بى لما سميت همتك إلى
خوض موقعة ، ولما جادت قريحتك بيت من
قصيدك الرنان ... بنس ججودك فضلى ا...

عنتره : كيف أجد فضلك ، وأنت مُنيق ، وجبك مله
جوانحى ؟...

— ٤٦ —

عبلة : لشد ما يسىء إلى هذا الحب ... ما كان أغنانى عنه ! ...

صار اسم عبلة نهياً للتناذر والسمر ، تلوكه الألسن ،
ويتقول عليه الأفّاكون ...

عنتره : حسبك ... ما أرى لى إلا أن أرحل عن هذه الديار ،
حتى تخرس تلك الألسن ...

« فترة صمت ... تدنو عبلة من عنتره ،

وتجلس بجانبه »

عبلة : أتترك الحى ؟ ... تتخلى عن عبلتك ؟ ... من يدرأ

إذن عن القوم غارة المعتدى ؟ ... ومن يدود عن عبلة
عيون الطامحين من الرجال ؟ ... حقاً لقد صدق
الأمير عمارة الكندى ! ...

عنتره : ماذا قال ؟ ...

عبلة : قال : « ستصبحين يوماً فلا ترين لعنتره فى ديارك من

أثر ... لهجر نك لا محالة ... ، لقد أسرفت يا عنتره
فيما أمّلت منك ! ...

« تنباكى »

— ٤٧ —

- عنتره : على الرغم منى أزعج الرحيل !
عبلة : كيف تسوّل لك نفسك أن تهجرني ؟
عنتره : مادام هذا المجران يَكْثُمُ عنك أفواه
المتقوّلين !
عبلة : صمتا يا قاسى القلب ...
« تنياكى »
عنتره : « فى ضيق وحيرة ، أما وقد كان من أمر شعرى فيك
ما كان ، فلبس لنا إلا حيلة واحدة !
عبلة : أية حيلة ؟
عنتره : الزواج ...
عبلة : أتمرح أم تقول صدقاً ؟
عنتره : الأمر جيدّ ... نتزوج الآن ... الساعة ...
على الفور ...
عبلة : ولكن ... لم هذا التعجّل ؟
عنتره : إن أسنة الناس قد ...
عبلة : « مقاطعة » اخطبني إلى أبى أولاً ...

— ٤٨ —

- عنزة : أوّاه من هذا التلّكو ...
- عبلة : لا مخلصَ من أن تخطبني أولاً ...
- عنزة : أبوك الآن في الحيرة يفد على المنذر ...
- عبلة : نلتظر أوّبه ...
- عنزة : لا انتظارَ ولا تسويف ... إني خاطبك إلى نفسك ...
- أترضينني بعلا ؟ ...
- عبلة : رضيتك ... ولكن ...
- عنزة : وماذا بعد ؟
- عبلة : رانية إليه ، ليس انتظارُ أيام معدودة بكثير ...
- عنزة : صائها ، لماذا ؟
- عبلة : حتى تمّثّبت لحيتك ، وتملأ عارضيك !
- عنزة : لحيتي ؟
- عبلة : أتخصّبي أتزوج غلاماً أمرد له خدّ أملس ؟ !
- عنزة : وأعجباها !
- عبلة : لا تعجب ... أمر الزواج لا يبرم في طرفة عين ...
- هناك ما يشغل بالي غير هذه اللحية ...

— ٤٩ —

عنتره : بأى شيء بالك مشغول ؟

عبلة : توسد رأسها صدره ، وتداعب خده ، :

أخشى أن أفنى إليك بخيئة نفسى ، فلا تقرّنى على رأي ! ...

عنتره : أفصحى ... كل ما تلفظينه من قول حبيب إلى ! ...

عبلة : يا أُملى العظيم ... أنصت لى ... كاشفَ شئى أُمى حين

حضرتهما المثية بأننى لن أوفق فى زواجى إذا لم يهد
إلى بعلى يوم الزفاف حجر الزبرجد ...

عنتره : مطلب يسير ... الأحجار الكريمة ملء الأسواق ...

عبلة : إنه حجر عزيز المنال ، ما أظنه يعرض فى الأسواق ...

على أننى لا أرتضى أن تجلب لى حجراً تداواته قبلى
أيدى الحسان ؛ بل أشتهى حجراً يحمله حبيلى إلى من
موطنه الأصيل ! ...

عنتره : وأين موطنه ؟ ...

عبلة : أرانى مغالية فيما أريد ، فلنرجىء الزواج ، حتى

يَرجع أبى ...

— ٥٠ —

عنبرة : أخبريني أين موطن حجر الزبرجد ؟ ...
عبدلة : على مسيرة شهر وبضعة أيام ... في أقصى بلاد
فارس ! ...

عنبرة : « مغنما ، أقصى بلاد فارس ؟ ... »
ديب واقفاً ، أنت تحتارين لتقصيني عنك ... !
عبدلة : بل تمنيتُ أن تجيبنى إلى رغبةٍ تعلقةً بها
نفسى ! ...

عنبرة : طالما أجبته إلى رغباتٍ كثار ! ...
عبدلة : إنك لتمنّ على ... وإنك لتسّيق بمطالبي ... لقد
صدق الأمير عمارة الكندى إذ قال ...
عنبرة : ألا فلتنسف الصواعقُ أميرك الكندى نفساً ! ...
عبدلة : هدىء من روعيك . . . ولتنس ما رغبت
إليك فيه ...

« لحظات صمت .. تنشد عبدلة القطعة

التالية : »

أنت للعين ضياءُ أنت للروح دواء

— ٥١ —

أنت يا عبلة أنس^١ لفؤادى وهناء
حينما ترضين عني يملأ القلب الرجاء
فإذا الدنيا نعيم^٢ وإذا الكون صفاء
وإذا بي في حبور وابتهاج وازدهاء

عنترة : لماذا تنشدن هذه الأنشودة الآن ؟ ...

عبلة : أطلب بها سلوة لفؤادى ! ...

عنترة : قلبي لم يعد يهفو لتلك الأنشودة ... إني عنك

مرتحل ...

عبلة : إلى أين ؟ ..

عنترة : دهر يلقى إليها نظرة مهمة ، إني عنك مرتحل ...

وكي ... !

« يظهر عظمم حليق الحجة وشعر

الرأس ... تظهر خلقه هند ... يلتفت

إليه عنترة »

إلى يا صديقي الوفي إلى ... سرتحل معاً ... سنفارق

هذه الديار ...

هند : ترتحلان ؟ ... لماذا ؟ ... ومتى تعودان ؟ ...

— ٥٢ —

عنترۃ : « وقد أحاط ساعده بعظمم ، يقول لهنـد :
سنعود حين تعود إلى الحبيبي ، ويكتسى وجه عظمم
بالشعر الغزير ... »

« ينصرفان »

الفصل الثاني

« النظر السابق عينه ، عيلة جالسة على
صخرة قبالة خبائها منسرحة الخاطر ، تفكر
تنهض متهادية في سيرها »

عيلة : « تترنم ، :

فيا نسيماتِ البان بالله خبري ...
عُيلة عن رحلي بأى الموضع
ويا برق بلغمها الغداة تحيقي
وحى ديارى فى الحنى ومضاجي
« يقدم مالك أبو عيلة ، يسمها تترنم »

مالك : لا تفشين تذكرينه ! ...

عيلة : أبت ! ...

مالك : حال الحول على ارتحاله ، وما برح لسانك لاهجاً

بشعره ... !

عيلة : إن هذا الشعر وجيب قلبه يبعث به إلى مع النسيم ! ...

مالك : أو مع البروق والرعود ...

عبلة : أصبح اسمى ملء الدنيا وشغل الناس ، يطوف به
الشعر في سماءات فارس وبلاد الروم ... يعبر الأنهار
والبحور ، وهو حينما نزل يترك نفحةً من عطره ،
ثم يحلُّ بعد طول التَّطواف هذه البادية ليهبط
على صدرى فيستقر من قلبي في مستودعه الأمين ! ...

مالك : وما ارتفاعك بهذا كله ؟ ...

عبلة : أليس هذا ربحاً عظيماً ؟ ...

مالك : إنه لربح ... في عالم الأوهام ! ...

عبلة : لولا الأوهام يا أبتِ لما قامت للحقائق أوزان ! ...

مالك : كلام أجوف اقننك إياه عنبرة فأحسنرت ترديده ...

خبريني : ماذا بعد في غيبته ؟ ... أخشى أن يكون

قد أدرك الفتور حبّه ! ...

عبلة : إذن ما بال هذه الرسائل التي تتواتر على ؟ ...

مالك : الرسائل التي يبعثها إليك مع الريح والبرق والرعد ! ...

لأنها تحيات عابرة ... تحيات قديمة تقطع الطريق

إليك في أشهر طوال ... ما عليك الآن بالجديد

من أخبار عنتره ؟ ...

عبلة : وفيّ في حبه ، لا ينقطع لحظة عن التفكير في
عبلة . . . وهو يحوب الأقطار باحثاً منقباً عن حجر
الزبرجد ! ...

مالك : لو كان في رأسه مُسْكَنَة من عقل لما راح يطوى
رحاب الأرض طلباً لهذا الحجر ! ...

عبلة : لقد آثر الرحلة والاختراب ابتغاء الحجر ! ...
مالك : كان في وسعه أن يبلغ رضاك دون أن يفارق الديار ...
عبلة : لقد أمرته فأتمر ! ...

مالك : لا أحبُّ الرجل ينصاع لفتاة تعبت به عبث الرياح
بأغصان الشجر ... إن رجلاً هذا شأنه لا يُرجى
منه خير ! ...

عبلة : أنا أعلم منك يا أبتاه بأصناف الرجال ...
مالك : عبلة ! ... أنتِ بنفسك معتدّة ، فاحذري أن يوردكِ
الغرور موارد الشطط . . . أتعلمين إلى أيّ المجاهل
طوّحتِ بهذا الشاعر المِطَوع الخنوع ؟ ...

- عبلة : أعلم أنه يرتاد أصقاعاً تحفّ بها المخاطر ا ...
- مالك : وقد يلقي بها حتفه ا ...
- عبلة : لا يلقي حتفه من يابج لسانه باسمي ... إن اسمي
تعويذة ترد عنه الغوائل ...
- مالك : حتى غوائل الحب ؟ ...
- عبلة : لن يحبّ سواي ... إن قلبه في يدي ا ...
- مالك : ومتضاحكا ، أو ترك قلبه عندك رهينة ؟ ...
- عبلة : بل تركه ملائكة يميني ا ...
- مالك : عذارى الروم يا عبلة يسبين الرجال بأجسامهن
البضنة المشرب يياضها بحمرة الشفق ا
- عبلة : لن تقع عينه على أجمل مني ...
- مالك : حسان فارس يجتذبن المهبج بسحر عيونهن اللواتي
تتجمع فهن ألوان قوس قزح ...
- عبلة : لن تقع عينه على أفق من عيني ...
- مالك : ديربت كتفها ، ستلبين يا عبلة غريرة غافلة حتى
يجيشك عنزة يوما بمن تخيرها دونك زوجاً ،

وإذن يتبين لك أنك فقدته !

• بصمت لحظة •

كما تفقدن الآن الأمير عمارة ... !

عبلة : الأمير عمارة ؟

مالك : عظيم قومه جاهاً وثراء ، وفقى عشيرته وسامة
وكياسة ... يدنو منها ، ذلك الذى هفا إليك فؤاده
فكان حفظه منك التمتع والصدود ...

عبلة : لم أدرك أن الأمير أولانى نظرة عطف ...

مالك : بل أدركت ... ولكنك تباعدن بينك وبينه إبقاء
على ذلك الأسود الحشن الذى لم يعد يصلح
إلا هولةً يتفزع منها الأطفال !

عبلة : لا تنس يا أبت أن ذلك الأسود الحشن هو سيف
القبيلة البتار ، وقلها الخفاق ...

مالك : وأين منا اليوم ذلك السيف وهذا القلب ؟ ... إنه
يتخبّط فى مجاهل الأرض ، لا يعرف له أحد من قرار
ولا سكن ، وقد نسيتنا فنسيناه ... أما الأمير

— ٥٨ —

عمارة الكِنْدِي فهو منا على قَرَبَةٍ ، وقد جاءك
الآن خاطباً ، فإذا تقولين ؟ ...

عَبْلَة : وهل خطبني الأمير خِطْبَةً صريحة ؟ ...
مالك : قديم على أَمْسٍ يَدِينُ الأمر ، ويرغب في قول
فَضْل ...

عَبْلَة : أرجو منك يا أبتِ ألا تتعجلَ في إجابة الأمير إلى
طَلَبَتِهِ ... بدضُ الروية خير ! ...

مالك : د بعد صمت قصير ، يلوح لي أنه بدعجاء
مُفْجَب .

عَبْلَة : بدعجاء ١٩ ...

مالك : إنها لقادرة أن تَسْبِيَه ...

عَبْلَة : إن كان الأمير يهواني حقاً ، فلن تفتنه
دعجاء ١ ...

مالك : اعلى يا عبلةُ أنه سيختارها زوجاً إذا رددته
ورفضت خِطْبَتَهُ ١ ...

عَبْلَة : الأمير يا أبت لا يضمير لي في قلبه حباً ... كيف

- تسنىَّ له أن يفكر في دُعْجاء وهو لى محسبٌ ؟
- مالك : إنه يقبلها زوجاً ليكيدُ لك كيداً ... سيغدق عليها من
ثرائه وسلطانها ما يجعلها أميرة البدياء !
- عبلة : إنها وسيلة للانتقام وضيعة ، لا يرضاها لنفسه إلا خفاف
الأحلام ... ما أحسب عنتره يلجأ إلى ذلك مهما يكن
من أمرى معه !
- مالك : إذن أنت تريدين الأمير على أن يظلَّ أبدَ الدهر
شقيئاً بك ... يخطب ودَّك فتصاهمين ، ويتعذب في
سبيلك وأنت عنه تتشاغلين !
- عبلة : « مزهوة ، هو الحبُّ يا أبتاه ...
- مالك : إن الأميرَ لأرجح عقلا ، من أن ينصاع لمثل هذا
الحب ... سيتزوج دُعْجاء ، ويروض قلبه على أن
يسلوك وينساك ...
- عبلة : شأنه وما يريد !
- مالك : ثم ماذا ؟
- عبلة : أنت على إسعادى حريص ... فناشدُك الله أن

— ٦٠ —

تبلىخ الأمير ردّي إياه ...

مالك : ما أرى سعادتك إلا في زواجك بالأمير ...

عبلة : أحبيت عنتره ، وسأبقى لجه وقيّة ، ولعهده صائنة ...

إنّ بين جنبيّ قلباً ا ...

مالك : ديفكر لحظة ، سنتدبر الأمر ...

عبلة : د في عزم ، إني أمينة على جي ، وهيات أن أخون

قلبي ا ...

مالك : د يدنو منها ويلاطف خدها ، لا تسارع إلى رفض

خِطبة الأمير ...

« تنصرف عبلة ، فيتبعها مالك بنظرات

حنو وحيرة . . . يقبل سراقه . . . »

سراقه : شيوخ القبيلة يتفقّدونك ، ويتساءلون: أين أنت ؟ ...

مالك : وفيم ؟ ... هل جدّ من أمر ؟ ...

سراقه : لتبرموا الرأي فيما شجر من خلاف بيننا وبين

بنى فهد ...

مالك : « ضجرا ، ليسوافي حاجة إلى رأي ... فليستفدوا

ما بشامون ا ...

سرافة : د يصعد فيه النظر هنية ، ما بك ؟ ... أجهود أنت ؟ ...

مالك : لستُ بالجهود ... لا شيء بي ... لا شيء ا ...

سرافة : أنت مهموم ورب الكعبة ا ...

مالك : أ كذلك تجدني ؟ ...

سرافة : عيناى لا تَكْنِزِ بَانِي ا ...

مالك : وهل تجهل سبب همي ؟ ...

سرافة : من أين لي أن أعلمه ؟ ...

مالك : ألم يصادفك في طريقك إلى شخص ذاهب ؟ ...

سرافة : صادفتني عبلة ...

مالك : وتساألني بعد ذلك : فيم همي ؟ ... !

سرافة : ماذا كان من شأنها معك ؟ ... |

مالك : إن لها رأساً صُلباً لا يلين ...

سرافة : وأنت يا مالك لك قلب لين لا يصُلبُ إزاهة

أبدأ ...

مالك : ماذا تريدني أن أصنع ؟ ..

سِراقَة : كن لها أبا ... أبا شديد المِراس ... أبا كسائر الآباء
تحت سماء هذه البيداء ...

مالك : أفاتك يا سِراقَة أنها وحيدتي ، وأنى رُزقتُها
وقد أوفيتُ على الأربعين ، وأنها ...

سِراقَة : فقدتُ أمها وهي طفلة رضيع ، فحُرمْتُ حنان
الأمومة ... ولكنني آخذ عليك أنك جاوزة
في الرُّقق بها والتدليل لها حنان الأمهات ... أنسيت
يا مالك أنك أغضيت على تشيب عنترة بها حتى ملأ
شعره الأصقاع ، ثم أبحث له أن يتحدث في خطبتها
وقد ذاع من أمر هواه معها ما ذاع ، فتمردت على
معرف الأسلاف ، ولم تعبأ بسنة الأعراب ؟ ...

مالك : ألا بُعداً لهذا الأسود الثرثار ... طالما أقض
مضاجعي بما خاض فيه من لغو الحديث ...

سِراقَة : كما أقض غيري مضاجعك من قبل ...

مالك : من تقصد يا سِراقَة ؟ ...

سِراقَة : أنسيت جُنُدياً والعطاف وابن الضحاح ... أولئك

— ٦٣ —

الذين شغفتهم عبلةٌ حُباً ، ثم أورتهم شقاء ، ولم تجب
لهم سُؤلاً ...

مالك : إني لأعجب لماذا لم أضطرّها إلى الزواج
بابن الضحاح ؟ ... في عزيز الجانب ، على الهمة ،
كريم المحتد ... ذكّرني يا سراقه ...
لأرغمّنها على الرضا بالأمير عمارة ، حتى لا يفلت
من يدي ...

سراقه : لقد أوفت عبلة على العشرين ، وما انفكت تلهو
بقلوب الفتيان ...

مالك : لا يروقها إلا ذلك الأسود البغيض ...
سراقه : أخشى أن يتطاول عليها الأمد ، فبقى عانساً لا يأبه
لها أحد ...

« يبدو بجير »

بجـير : « لمالك ، شيوخ القبيلة ينتظرون مقدّمك ... الأمر
جدّ ... بنو فهد ... »

مالك : « متعجلاً ، علمت ... علمت ... هلمّ بنا ندبّر الأمر

فما يريد منا بنو فهد ...

« ينصرف الثلاثة : مالك. وسرافقة، وبحير... »

بعد لحظة تظاهر عبلة وهند ودعجاء . . . »

هند : « لعبلة ، أئمة جديد من قبا عنقرة ؟ ... »

عبلة : لا ينقطع لأخباره عنى ورد ، .. ما من غير يجتاز
الطريق حتى ينقل إلى من شعر عنقرة ما يملأ أفواه
الرُّكبان ... !

دعجاء : أين هو الآن ؟ ...

عبلة : تعلين أنه رحل ليبحث لى عن حجر الزبرجد ...

دعجاء : لقد طالت غيبته فى البحث عن هذا الحجر ...

هند : ألمّا يعثر عليه ؟ ...

عبلة : إنه لو أجده ...

دعجاء : هبى لم يجده ... أبطل هائماً على وجهه طول عمره ؟ .

عبلة : لقد أمرته أن يمحصره ... وسيفعل لا محالة ! ...

دعجاء : وفيه كل هذا العناء ؟ ...

عبلة : فى سبيل حبي ! ...

- هند : يا لحظّك البسمام ! ...
- دعجاء : وهل يقتضى الحب هذا العنت كله ؟ ...
- عبلة : من أحبنى استهان بالشّدائد من أجلى ! ...
- دعجاء : ولماذا تعرّضين للمخاطر حياته ؟ ... إنك إذا فقدته
فقدت الحبيب والحب معاً ! ...
- عبلة : حب مثلى لا يموت بموت صاحبه ، إنه لحب مكتوب
له الخلود ... « قصمت هنية ، ... ذكرّتنى شأنا :
يحوم الأمير عمارة حول ديارنا هذه الأيام ، على غير
عادة وإثف ! ...
- هند : ترامت إلينا أطراف أحاديث ! ...
- دعجاء : لآى شأن يحوم ؟ ...
- عبلة : من أجل غادة حسناء ! ... إن الرجل لا يحوم حول
الديار إلا من أجل امرأة .. إنه كالحزّ يُعسّ متشهما
حول جحور الجرذان لا يضمّضنّ له جفنيّ ! ...
- هند : أجرذان نحن فيما تَرَيْن ؟ ...
- عبلة : بل فيما يرى الرجل يا هند ...

— ٦٦ —

هند : أَيْحَسَبُ الرجل أنه يستطيع أن يتصيدنا كما يتصيد القط فأره ١٩ ...

عبلة : إنه لينهج نهج القط في اقتناص فريسته ١ ... يترصد لها مخاتلا ، حتى إذا تاحت الفرصة انقضَّ عليها ، فرة يلاطفها ، وأخرى يناوشها ... ويظل معها في معاينة إلى أن تتخاذل قواها ، فيطيش بها بطشته الكبرى ... فلتكنْ على حذر ١ ...

دعجاء : يلوح لي أن بين الرجال من يحمل بين جنبيه نفساً أكرم من نفوس تلك القططة ١ ...

عبلة : « لدعجاء ، ربما . . . »

دعجاء : لم تخل الرجال من ذوى همة ونُبل . . .

عبلة : كالأمير عمارة الكِنْدِي ١ ..

دعجاء : « دهشة ، وكثير غيره ... الحق أنى لست على بَيِّنَةٍ من نفس الأمير ١ »

هند : « لعبلة » تقولين إنه يحوم حول الديار من أجل حسناء ١ ... فمن تكون ؟

- عبلة : اخزري ...
- هند : متضحكه ، لعلك هذه الحسناء !
- عبلة : ولم ؟ ... أو أفقرت القبيلة من فتاة سواى تصلح أن تهفو إليها أفئدة الرجال ؟ ...
- هند : ينظر الأمير عمارة إليك وحدك نظراتٍ وجد وهيام ... لم يعزب ذلك عن إدراكنا ! ...
- دعجاء : وإنه لراج أن تطارحيه الحب ...
- هند : لعبلة ، ولكنك لن تفعلى ... وإلا فأين وفاؤك لعنصرة ؟ ...
- عبلة : لهند ، نسيت أن تقرلى أيضاً : وأين وفاؤك لصديقتك ؟ ... وإن للصدقة كرامةً يجب أن تُترعى ! ...
- دعجاء : لعبلة ، أيتها صديقاتك تعنين ؟
- عبلة : لدعجاء ، ثنى يادعجاء أنى إن أقفَ عقبةً فى طريقك إلى قلب الأمير ...
- دعجاء : لعبلة ، ما أدرى عن أى أمر تتحدثين ؟

عبلة : « لدعجاء ، لمّ التجاهل ؟ ... أعنّى تخفين ...
مائتة صيدن ؟

دعجاء : « لعبلة ، ما أخفيتُ شيئاً ...

عبلة : « لدعجاء ، حسبك كتماناً ... لا تحسبني أنى أحول ...
بينك وبين زواجك بالأمير ... لقد أذنت لك ...
بهذا الزواج ١١

دعجاء : « لعبلة ؛ ناظرة في دهشة وغيظ ، تأذنين بهذا ...
الزواج ١٢ ...

عبلة : « لدعجاء ، إني أنزل لك عن الأمير عن طيب ...
خاطر ...

دعجاء : « لعبلة ، وإذا لم تنزلى ؟ ...

عبلة : « لدعجاء ، أنتِ على علم بأن الأمير بى متيم ...

دعجاء : « لعبلة ، ربما كنتِ واهمة ا ...

عبلة : « لدعجاء ، أظننت أن الأمير قد تعلق بك ؟ ...

هيئات لك أن تأخذه لإلا امر يدي ا ... قلت

لك إني راضية أن أهبك إياه ... إني لعهد

— ٦٩ —

صداقتنا وقيّة ...

دعجاء : « لعلّك ، لو آنس الأمير مني مخايلَ عطف لسارع

إلى خطبتي ! ...

عبلّة : « لدعجاء ، هيهات لك أن تأخذه إلا من يدي ...

دعجاء : « لعلّك ، أشكر لك ... لا أطلب شيئاً منك ...

هند : « ولم لا يتمّ الأمرُ على هذا الوجه : عبلة لعنتره ،

ودعجاء للأمير عمارة ؟ ...

عبلّة : « إلى هذا قصدت ! ...

هند : « لدعجاء ، ما بغتُ عبلة إلا هناءك ... إنها تقدّم لك

الأمير ...

دعجاء : « لهند ، يا لك من طفلة ! ...

عبلّة : « لدعجاء ، لم تعد هند طفلة ... لقد أتمت

الخامسة عشرة ... لقد أضحيت عادةً هيفاء ...

دعجاء : « ولكنها ما برحت تردّد لغو الأطفال ...

عبلّة : « لدعجاء ، أتتالين منها ، لأنها أكدت لك رضاي عن

زواجك بالأمير ؟ ...

— ٧٠ —

دعجاء : « لعبلة ، أنا إن أردت الأمير لم يحل ببنى
وبينه أحد ...

عبلة : « لدعجاء ، كما أردت عنقرة من قبل ا ...

دعجاء : « لعبلة ، لم أنافسك فيه ؛ لأنه لا يروقى ...
هند : « لدعجاء ، والأمير ؟ ...

دعجاء : « قد يكون لى معه شأن ...

عبلة : « لدعجاء ، ألا تخشعين أن أنافسك فيه ؟ ...

دعجاء : « لعبلة ، إذن فأنت تتطلعين إلى اثنين : عنقرة
والأمير ا ...

عبلة : « لدعجاء ، لست أنا المتطلعة ، بل هما المتطلعان ، وإن
ذلك ليس بسبب لى كبير عناء ...

هند : « لعبلة ، لقد وعدت ألا تحولى بين دعجاء
والأمير ...

عبلة : « لهند ، ما زلت نند وعدى ...

دعجاء : « لعبلة ، لا يعنبنى أن تبسرى بوعدك أو أن
تخلفيه .. ا

- عبلة : يا لكبير يا ا... ويا لكفور ا... .
- هند : « دعجاء ، على ماذا عوّلت إذن ؟
- دعجاء : « لهند ، سأرى رأيي ، لا أنصاعُ لرأى أحد ...
- « تنصرف محتاجة »
- هند : « لعبلة ، يلوح لى أننا قسوننا على دعجاء ...
- عبلة : بل هي على نفسها قسّت . . . إنها للحقاء ا
- هند : لقد سلبتِها بالأمس عنتره ، وأنتِ اليوم تزاحينها على الأمير
- عبلة : ما سلبتُ ولا زاحمت ا... عنتره هو الذى أقبل علىّ ،
- والأمير هو الذى يتودّد إلىّ ، فإذا كنت فاعلة ؟ ...
- هند : شأن الأمير غير شأن عنتره ا... .
- عبلة : ماذا تريدن أن تقولى أينها الصغيرة ؟ ...
- هند : أما قلتِ منذ قليل إنى لم أعدُ صغيرة ؟ ا... .
- عبلة : أنتِ صغيرة حتى اليوم ، وستظلّين كذلك معى دائماً ا... ولكفى يسرنى أن أستمع إلى حديثك ...
- تكلّمي : ماذا تعلين من أمر عمارة ؟ ...

— ٧٢ —

هند : لقد شَغَفْتِه حُبًّا ، يَشِدُّ أَنَّهُ بِدَعْجَاءٍ مُعْجَبٍ ...

عبلة : بعض الإعجاب إشفاق ...

« تهم هند بالخروج »

إلى أين ؟ ...

هند : إلى دَعْجَاءٍ أُسْرِي عَنْهَا ؟ ...

« تنصرف هند . عبلة منفردة تفكر ...

يبدو الأمير عمارة الكندى فى خطأ هينة .

عبلة تحس مقدسه »

عبلة : « ملتفتة إلى الأمير ، الأمير عمارة ؟ ...

« فترة سكوت »

عمارة : « أأكون قد عكرتُ عليكِ صفوَ أحلامك ؟ ...

عبلة : أيتها أحلام ؟ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطرة بأمرٍ ... ذلك واضح على

جبينك الناصع ! ...

عبلة : ربما كنتِ على صواب فيما قد دَرَّتْ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطر بشخصٍ ! ... ذلك جلي في

عينيك النجلاوين ! ...

— ٧٣ —

- عبلة : أى شخص ؟ ...
- عمارة : الذى تعرفين ا ...
- عبلة : أصدق هو ؟ ...
- عمارة : أكثر من صديق ا ...
- عبلة : « ترنو إليه فى تخابث وتدلل ، أحسبتنى هيمنى
بأحد ؟ ...
- عمارة : أخالية القلب أنت إذن ؟ ...
- عبلة : « متضاحكة ، مثلك يا خالى القلب ا ...
- عمارة : ليس قلبي بخال يا عبلة ... وأنت بذلك عليمة ا ...
- عبلة : « متضاحكة ، فى عبث ، أعلم أن الأمير يحوم حول
الحمى من أجل فتاة ... وإن فى حيننا لحسانا
فواتن ا ...
- عمارة : هنا فتاة تفوق أترابها حسناً وفتنة ...
- عبلة : إن الناس ليتحدثون بجمال دجءا ا ...
- عمارة : دجءا جميلة ... لا يشكر جمالها أحد ... ولكننى
عَنَيْتُ ...

- عبلة : « مقاطعة ، أترك عنيبت هندا ؟ ...
- عمارة : تعرفين من عنيبتُ يا عبلة ! ...
- عبلة : هل غاب عن فطنة الأير أن التي يَعْنيها هو قد تعلق بها
فتى من القبيلة لم يخف أمره ؟ ...
- عمارة : فتى قد ارتحل إلى ديار نائية ... وأكبر الظن أن
المقام قد طاب له هناك ...
- عبلة : ما فارق الديار إلا ليبحث لقائه عن حجر الزبرجد ...
- عمارة : حجر كريم النهر ، ليست قيمته بزهيدة ... ولكن
العشور عليه لا يستنفد كل هذا الجهد ! ... إن
الأسواق به ملاءى ... لو طلب إلى هذا الحجر لقدّمته
في طرفة عين ! ...
- عبلة : هذا حق ... إن ثمنه لا يعيبك ! ...
- عمارة : في مُكنتي أن أقدم مائة قطعة من حجر الزبرجد ...
لا قطعة واحدة ! ...
- عبلة : « معابثة ، وما قيمة هذا الشيء الذي تقدمه مستطيحاً
في طرفة عين أيها الأير ! ؟ ...

— ٧٥ —

عمارة : أليس هذا الحجير طلبة الفتاة ؟ ...
 عبلة : إن طالبتما أبعد من ذلك مرمى وأعزُّ شأنًا ! ...
 عمارة : أى مرمى ؟ ... وأىَّ شأن ؟ ...
 عبلة : عليك أن تبين ذلك بنفسك ، لكى تذلل لك
 القلوب ! ...

عمارة : أرغب إليك فى أن تلقيني علم ما أجهل ...
 عبلة : د فى دلال ، أأنت تجهل ذلك حقاً ؟ ! ...
 عمارة : د فى وجد وشغف ، يبدو لى أنى حين أكون معك
 أجهل كل شيء ... أجهل الدنيا والناس ... بل أجهل
 نفسى أيضاً ... إننى ليختلط علىَّ أمرى ، فلا أعى
 ما أقول ، ولا أدرى ما أصنع ! ؟ ... أريد أن
 ترشدينى ... أريد أن تقول لى : افعلى هذا ، ودع
 ذاك ؛ فإنك لن تلقى منى إلا سماعاً وطاعة ... يا عبلة :
 مرينى ... ماذا تبغين ؟ ...

« يجنو حيلها »

عبلة : حسبك ... انفض ...

« تأخذ يده . . . يقف الأمير عمارة

أمامها مضطرباً حائر النظرات . . . ترونو

عبلة إليه بسامة الثمر . . . تقول له في صوت

لين النعم » :

بدأت تَفْطِن إلى سريرة المرأة يا صاح ! ...

عمارة : « منة مشاء أحقا !؟ ...

عبلة : هذا ما أراه ! ...

عمارة : إذن أعينيني على بلوغ أمنيته ...

عبلة : أية أمنية لك ؟ ...

عمارة : أن اقتنص قلب التي أهوى ...

عبلة : أفى طورك أن تقتنص قلبها ؟ ...

عمارة : لست على أية حال أقلّ درايةً من مزاحمي ...

عبلة : من أين لك أن تعلم أن مزاحمك اقتنص قلبها ؟ ...

قلبه هو الذي وقع في الشَّرْك ! ...

عمارة : تزعمين أنها لم يهف قلبها إليه ؟ ...

عبلة : لا ريب أن بها عطفاً عليه ... ربما هَوِيَتْه يوماً ! ...

عمارة : إذن لي أن أوْمِّل في هواها ...

— ٧٧ —

عبلة : إنها لا تنقف دون أمالك أيها الأمير ... ولكن

اعلم أن الطريقَ إلى قلبها تننثر فيه الصعابُ

والأشواك ...!

عمارة : لأذللنَّ هذه الصعابَ مهما يكن من أمرها ، ولاحتملنَّ

هاته الأشواكَ مهما يكن من وخزها ...

عبلة : أواتق أنتَ بنفسك ؟ ...

عمارة : أعظمَ الثقة ! ...

عبلة : « وقد وقفت وقفة التامر ، أفصحُ عما تريد ، أيها

الأمير ، قل صريحاً ... ماذا تبغى ؟ ...

عمارة : أبغى خِطبتك يا عبلة ...

عبلة : هل يعرف الأمير مهري ؟ ...

عمارة : لكِ فوق ما تطلبين ... إن العظيمَ في سيدك

ليهنون ! ...

عبلة : أتعرفُ أنياق التي تسمّى بالانياق العُصفورية ؟ ...

عمارة : أعرفها حق المعرفة : قُدودها كقُدود الظباء ،

وأوبارُها كشِقِّقِ الديباج ؛ إذا انطلقتْ تعدو

في اليبداء لم يسبقها الظلِّيم ، وإذا تُنَحَّرت وطعمتِ
من لحمها ألفتِه أشهى من لحم الحُمْلان ...

عبلة : « في عزم ، وقد عقدت يديها على صدرها ، أطلبُ
منها ألفاً ...

عمارة : ألفاً ١٩ ...

عبلة : مطلب عسير ؟ ...

عمارة : الحصول على مائة من هذه النياق يعد إحدى
المعجزات ... ! إنها عزيزة المئال ، نادرة الوجود ...

وهي مشته في مختلف النُور ، يتطلب جمعُها ضرباً
في البلاد ، وغيبةً تستغرق الأشهر الطُّوال ...

عبلة : لا أقصد أن أجشِّمك ما لا طاقة لك به ...

عمارة : قد رى تمن ما تطلبين من هذه النِّياق ، فأبذله
لك عاجلاً ...

عبلة : ما طلبتُ فُتنةً ولا ذهباً ؛ بل نياقا ...

عمارة : ودِدْتُ أن أطوِّفَ في أنحاء الأرض لأجلب لك
تلك النِّياق ، ولكن الرحلة تؤخِّر زواجنا زمناً ...

— ٧٩ —

عبله : لم يقلْ عنثرة مثل هذا القول ؛ بل ارتحل في طلب

ما أردت وهو راضٍ بخور... لقد فارق الديار

وهو يترنم بهذين البيتين :

أذلُّ لعبلة من فرط وجدى

وأجعلها من الدنيا اهتأى

وأنتشلُ الأوامر والنواهي

وقد ملك الهوى منى زماي

عمارة : كنى يا عبلة ...

عبله : لا تنس أن دعجاء لا تطلب ألماً من النياق

العصفورية ! ... فتاة ليست بطموح ... إني لها

أخت وفيّة ... أستطيع أن أكون رسولك إليها

أسألك : ما مـها ؟ ...

عمارة : يا عبلة كنى ... كنى ...

عبله : ماذا أيها الأمير ؟

عمارة : هبيني ضـمـمتُ لك أن أسوق إليك النياق الألف

التي طلبتها ، أنـتـنـسـمين على أن تكونى لي ، لا ينارعى

— ٨٠ —

فيك منازع ؟ ...

عبلة : إن في الحصول على هذه النياق لمشقةً أىَّ مشقة ، فليحـ

تُكَلِّف نفسك هذا العناء ؟

عمارة : سألتك : أنقسمين على أن تكونى لى زوجاً إذا

سقتُ إليك النياق ؟

عبلة : « وهى تحدى فيه ، أقسم على ذلك ا ...

عمارة : أنقسمين على أن تنتظرينى مهما تَطُلُ غَيْبَتِي ؟

عبلة : أقسم على ذلك ا ...

عمارة : « فى حزم وتأكيد ، لأجلبسنها لكِ ألفاً من النياق

العُصفورية الأصائل كاملة !

عبلة : مَرَحْنِي أيها الأمير ا ...

عمارة : إني راحل من فورى ... جوادى خلفَ هذا الخباء

ينتظرنى ...

« يشير الى خباء بين الأخية المتناثرة

فى ساحة الحى »

إلى الملتقى يا عبلة ا

عبلة : إلى الملتقى القريب أيها الأمير ...

« يحيا جيش العاطفة ، ويمشى مهرولا ،
تنبه بنظرات زهو واتصار... تظل رائية
إلى طريقه الذي غاب فيه ... بعد قليل تقبل
من طريق آخر هند ودعجاء باكتين ،
تسرع إليهما عبلة متسائلة »

عبلة : ما بك ؟ ... فيم بكأوكا ؟ ... تكلما ...

هند : أما ترائى إليك الخبر ؟ ...

عبلة : أى خبر أردت ؟ ...

دعجاء : عنتره ... عنتره ...

« تشرق بسمتها فلا تقدر على مواصلة

الكلام »

عبلة : ما لعنتره ؟ ...

هند : « فى صرخة أضعفها النشيج ، إنه قَمَصَى ...

عبلة : عنتره ؟ ... قَمَصَى عنتره ؟ ...

« تقف مشدوحة ذاهلة الهب . . . »

هند : « وهى ترمى نفسها فى حضن عبلة ، قلت لك إنه قضى

— ٨٢ —

- عبلة : من أين استقيتِ هذا الخير ؟ ...
- هند : الناس يتناقلونه ...
- عبلة : « صاحبة » من أتى به ؟ ...
- هند : لست أدري ...
- عبلة : طالما تناقلت السنةُ السوءَ أكاذيبَ تبغى بها جر
المغانم ... كلاً ... ما قضى عنتره ... فريه
مدسوسة ! ...
- دعجاء : كيف لا يقضى ؟ ... ألسنِ أنتِ التي رميت به
في الممالك ؟ ...
- عبلة : لقد أرسلتهُ في طلب حجر الزبرجد ؟ ... وإنه
لأت به ! ...
- دعجاء : تحاولين بهذه الشقشقة الجوفاء أن تستري جريرتك ...
لقد نكبتِ القبيلة في أعزِّ بنها ...
- عبلة : أمسكى عن هذا الهُراء ...
- دعجاء : « مستأنفة » ... كما نكبتِ القبيلة في فتيان آخرين
قبله ! ... كل هذا إشياعاً لغرورك الطائش وإرواء

لأثرتك الحقاء ...

هند : د مغممة ، ألا تكفين ؟ ...

دعاء : د لبللة ، مندفة ، لشدما آذيت الناس وكنت

عليهم بلاء مصوباً ... أنسى صديقك بجندب

باكورة أجبائك ، وهو قى قبيلة بنى وحيد ؟ ... ألم

نسي نار البغضاء بينه وبين أخيه الوضاح ، حتى ...

عبلة : د مقاطعة ، لقد كان الوضاح لثيم الطبع زينا ...

دعاء : لأنه لم يقابل حبك بحباً ... فجزيتيه على ذلك أن

أثرت أخاه عليه بمكرك وكيدك ، وما زلت بهما

حتى اقتتلا وسقطا صريعين معاً ...

عبلة : حدث نأفه ... كثيراً ما يقع مثله بين الإخوة ...

دعاء : وهل نسي العطف ؟ ...

هند : ليس لعبلة لصبح فيما حل به من كارثة ...

دعاء : بل اقترفت جريمة لا تغتفر ...

عبلة : أية جريمة اقترفتها يا جرثومة السوء ؟ ...

دعاء : لقد جفا أمه جفوة شنعاء ، تاركا إياها نهبه الفاقة

والبؤس ، فهلكت فريسة الإهمال والعُقوق ...
وما سولت له نفسه أن يفعل ذلك إلا استجابة
لرغباتك وإيثاراً لمرضااتك ... حتى إذا جاء يستنجزك
عهد الزواج لم يجد منك إلا التمتع والإباء ، قد هب
هول الصدمة بعقله ، وهام على وجهه شريداً لا يستقر
به مقام ... والآن ، لقد حان يومٌ عنتره ! ...

عبلة : « مهتاجة غضبي » ، إن لم تمسك عليكِ أسانك
أرئيتكِ كيف يكون ردى ...

« ترفع يدها في وجهه دمعاً ... تقول .
بينهما هند ... في هذه اللحظة يبدو مالك
في جمع من رجال القبيلة ، بينهم ابن فياض
التاجر الرحالة ... تأخذ هند بيد دعباءة
وتمضيان إلى جانب »

مالك : « لعبلة ، ما أظنك إلا قد علمت بنيا عنتره ...

عبلة : من افترى هذا الخبر يا أبتاه ؟ ...

ابن فياض : أنا الذي حملت إليكم الخبر . . . بما افتريت
ولا كذبت ! ...

- عجلة : ابن فياض ١٩ ...
- مالك : جواب الآفاق ، ورأس تجار البقعة ... لقد أتى في
غير من فارس منذ قليل ...
- عجلة : « لابن فياض ، وهل لقيت عنقرة ؟ ... »
- ابن فياض : لقيته حياً ، وودعته ميتاً ...
- عجلة : « مضطربة مأخوذة ، أوضح ... اصدقني ... »
هل رأيته بعيني رأسك ؟ ...
- ابن فياض : كنت في كرمان أجمع نفائس البسط للملك
السجنجل ، فصادفت في السوق عظمطماً عليه أسمال ،
يرزح تحت هم ثقيل ، فسألته : ما خطبه ؟ ... فأنبأني
بأن عنقرة طريح فراشه نهكته العيلة ... فصحبته
إلى مستقر عنقرة ، فوجدت ما يخلع القلب أسي
ويثير الدمع ... عنقرة العظيم الجبار ملثقي على
حصير في حجرة مهدمة يجود بنفسه ...
- هند : « في ألم وتحسر ، لابن فياض ، ماذا كان
يشكو ؟ ... »

— ٨٦ —

ابن فياض: لَزِمَتْهُ الحَمْى ، فلم تُبق منه باقية ...

» يصمت برمة ، والبيون إليه شاخصة

عبلة يغشاها ذهول . ابن فياض يتابع قوله «

لقد كان عنتره في بُحْران الحَمْى حين دخلت عليه ،

ولكنه ما رآنى حتى عرفنى ...

عبلة : « فى صوت مختلج الذبرات ، أقال لك شيئاً ؟ ...

ابن فياض: سمعته يردد أياتا يتغنى بها فى مشقة وعناء ...

عبلة : أما استبان لك منها شيء ؟ ...

ابن فياض: أنتِ للعين ضياء أنتِ للروح دواء

عبلة : « وقد شرقت بالدم ، أنتِ يا عبلة أنس لِقْوَادى وهناء

» تمالك على صدر أبيها وقد ملكها

التجيب تهيم قائلة «

أَبَتْ أَبْتَاه

» بلاطها مالك أبوما هنيئة

بتوسط الجعم صاعها «

مالك : يا بني عبّس ، قَضَى فارس القوم عنتره ، فَيَوِّا

ذكراه . . .

عبلة : يا طالما حَفِظَ الدِّمار ، ومنع بنجدته الجار ،
وردَّ عنا عدوان المغير ، وأفاض المغانم على أخية
الحى ، وعقدَ لقييلتنا لواءَ السيادة على قبائل
اليدياء ! ...

مالك : د بعد لحظة صمت ، يا معشرَ عَبَس ، قضى
عنتره ، ولكنَّ قبيلةَ عنتره حَيَّةٌ لم تقض ،
فما زال فيها شباب نَهَّاضون ، وكهولٌ صناديد ! ...
سرافقة : صدقتَ وبررتَ يا سيدَ القوم ، عنتره لا يموت
مادما أحياء ! ...

بحير : كل منا عنتره ... إن فاعلنا شهود نواطق ...
ابن الزاهد : لقد كان عنتره أحدنا ، ولم يتم له فوز إلا
بسواعدنا ! ...

بحير : كان عنتره شجاعاً بحق ، ولكن ما نفزع شجاعة
رجل وحده إذا لم يعزَّزها فرسان أشداء مثلنا ؟ ...
لولا سيوفنا لما نَبُهَ لعنتره ذكراً ! ...
سرافقة : لولا نحن لم يكن عنتره شيئاً ...

— ٨٨ —

عبله : « صاحبة ، أترعمون أن فيكم ندًا له ، شدة بأس
وثبات جنان ؟ ... »

مالك : « مبتسما ، لعبله ، أخذتهم حميَّةُ التفاخرِ
يا بُنيَّة ! ... »

عبله : « كان عنتره أطولهم باعا وأعفهم مراسا
وأفصحهم لساناً ... كان سيف القبيلة البتار ،
وصوتهما الرنان ! ... »

ابن الزاهد : « لعبله ، كل رجل منا يا عبلة سيف للقبيلة
بتار ، وصوت لها رنان ... ليس بيننا وبين عنتره
إلا أن الحظ واتاه وأخلفنا ، فتألق اسمه
وعلى مكاته ... »

سراقة : « ثم تحدث جذوته ، وخبا ضوءه ! ... »

عبله : « كلا ... لن يخبوا ضوءه أبد الدهر ... »

ابن الزاهد : « حسبكم يارفاق . . . أثبتوا للدلائل أنكم فعّالون
لا قوالون ... هنا ... »

« يتهيا الجمع للانصراف . عبلة تحتجز ابن فياض »

- ٨٩ -

عبلة : « لابن فياض ، حدثني عنه ! ... »

ابن فياض : « أى حديث تريدني ؟ ... »

عبلة : « كيف كانت حياته في مطارح الغربية ؟ ... »

ابن فياض : لقد أفضى إلى عظمم بتف منها . . . قص على
كيف كابد مصاعب وتجشها أهوالاً . . . لقد
طوّما في البلاد شرقاً وغرباً ، وجاباً أصقاعاً لم تطأها
قدم عربي من قبل ، وهبطاً مدائن عجيبة لم يُسمع بها
إلا في أساطير الأولين ! ... »

« يصت ابن فياض وعبلة وقد غشيتهما

كآبة »

عبلة : « والدع يتحير في مآفها ، أواريتنه التراب

بنفسك ؟ ... »

ابن فياض : كان على أن أدرك القافلة وهي على وشك الرحيل

إلى إريشم حاضرة بلاد الملك السجسجل ،

فعمدت بالامر إلى عظمم . . . ثقي أني أدبت

واجبي أتم أداء ... كان عنتره في القبيلة الأجد ،

— ٩٠ —

فحقّ عليّ أن أراه في محنته ...

عبلة : جزيّت خير جزاء ! ...

« فترة صمت »

ابن فياض: أترغبين في السؤال عن شيء ؟ ...

« تهم عبلة بالكلام ، ولا تلبث أن

تمسك »

ماذا ؟ ... تكلمى ! ...

عبلة : ليتنى لم أبعثه في طلب حجر الزبرجد ... شدّ ما أنا

جائرة ! ...

ابن فياض: ترمى إلىّ أنه لم يحصل على طلبتيك ،

عرضت عليه أحجار زبرجدية غير أصيلة ،

فأعرض عنها ...

عبلة : « مخممة » لقد لقيت في سبيل هذا الحجر المشؤم عنتاً

أىّ عنت ... « قصمت هنيهة » لا أستبئيك طويلاً ،

فالجمع ينتظرك ... شكراً لك يا ابن فياض ...

ابن فياض: طاب يومك ! ...

« ينصرف ... تقبل هنيئاً وودعاً »

— ٩١ —

عبلة : « في لوعة ، لهند ، مصابنا في عنزة يجلّ عن
العزاء ...

« تحضن هند فتبكيان ، وتدنو منهما

دمجاء باكية ... تبدو أم هرم . . . »

أيّ عنزة المغوار ... أيّ حامى القبيلة الفذا ...

أم هرم : وماذا بعد ؟ ... كفـكفـش من عبراتكن ... لن يغنى
البكاء قليلا ...

« تندقم باكية ... تمسح عينها بطرف

خارها »

ورد على الساعة نبا عجيب ! ...

دمجاء : أي نيا هذا ؟ ...

أم هرم : يتهامس الناس بعودة الأمير عمارة ...

« ترهف عبلة سمها »

يتناقلون أنه في طريقه إلى الحى ...

عبلة : أساقّ معه النياق ؟ ...

أم هرم : لا علم لي بنياقه يا بُنيّة . . . سمعتم يتحدثون

— ٩٢ —

عن ركب عظيم يجتاز شعاب « الحواشب » متجهاً
نحو مضارب خيامنا ، وكثيرون يذكرون اسم
الأمير ...

عبلة : « وقد أشرق حياءها ، من أدب الضيافة أن نخف »
لاستقباله ... ألا تنهض ؟ ...

أم هرم : هيا يا بنية ... نسم الرأي ما رأيت ! ...
« تهرع عبلة منصرفة ، وفي أثرها

أم هرم »
عجاء : « عاقدة يديها على صدرها ، أدعاهها أدب الضيافة
حقاً إلى أن تخف لاستقبال الأمير ؟ ...

« تسكت عن الجواب هند »
ثقي يا صغيرتي أنها لا تبكي على عنقرة بقدر ما تبكي
على نفسها ... إنها لترى فيه طبعاً لا تفرعه فيدوى
باسمها ، فإن تمزق الطبل سارعت إلى البحث عن
طبل جديد ! ...

هند : أواعية أنت ماذا تقولين ؟ ...

— ٩٣ —

دعجاء : نعم ... أعنى ما أقول ...
ستدوب أحزائها وشيكا على صدر أميرها
المضطرم ... لن يبق لعترة بعد اليوم في
قلبها مكانة ...

الفصل الثالث

« المنظر السابق ... عبلة جالسة بباب
خبائها تنزل الصوف ويجوارها هند ... غير
بعيد منهما مالك يجلس إلى رده من القبيلة،
بينهم ابن فياض وسراقة وابن الزاهد ومجير »

ابن فياض: « إني لأعجب من حيرتكم ... ألم أقل لكم إني
رأيت عنصرة بعيني رأسي يلفظ أخريات
أنفاسه ؟ ... ما لكم لا تصدقون ؟ ... لقد غبتُ
عن الحى قرابة ستة أشهر منحدرًا إلى الوراء
في تجارة ، وهأنذا أعرد فأجدكم تكذبونني فيما
كنت أخبرتكم به في شأن عنصرة ... لماذا
تكذبون ؟ ... »

مالك : لست بكاذب يا ابن فياض ... ولكن قد تكون
مخدوعا ! ... »

ابن فياض : أتخدعني عيناى يا مالك ؟ ... »

مالك : يقول ابن مُرَّة إنه لقيَ عنترَةَ في مشارف الطَّلَاقَانِ
بِإقْلِيمِ طَخَارِستانِ يقود جيشاً عَرَمَراً يحاربُ
به التُّرك ...

ابن فياض : أين ابنُ مُرَّة هذا ؟ ...
يَحْيَى : لقد ارتحل بِحَيْرِهِ إلى أَمَامِ ...
ابن فياض : لو كانَ بَيْنَنَا الآنَ لَمَّا جَرَّوْهُ عَلَى أَنْ يَواجِهَنِي بِهذهِ
الْفِرْيَةِ ! ...

مالك : زعم ابنُ مُرَّة أنه لقيَ عنترَةَ بَعْدَ لِقَائِكَ إِيَّاهِ ...
ابن فياض : لا يَرحِ المَوتى قُبُورَهُمْ يا مالِك ! ...
مالك : إني لَقيَ حَينَرَةَ من أَمْرِ عنترَةَ ... أُنَمِّسُهُ رُوحاً
شاردة تَهيمُ في الآفاقِ ، لا يَستقرُّ لها قَرار ! ...
مُراقِبَةٌ : إذا كانَ عنترَةُ حَيًّا ، فَلماذا لا يَرجِعُ إلى الأهلِ
والديارِ ؟ ... لقد طالَ غَيبَتُهُ دونَ أنْ
تَدْرِكَ لَذلكَ سَبِيًّا ...

هَند : « لَعَلَّة » يَبْحَثُ عَنِ حَجَرِ الزُّبرجدِ ...
« عِلَّة لا تَجِبُ مَنشَاغلةً بِمَنزِلِها . . . »

ابن الزاهد: « في دعاية ساخرة ، لقد احتجزته فارس لنفسها ،
فأمرته على جندها ، وقلدته زمام بلادها ...
لسوف يُخضع لها الدنيا بأكامها ، ويملا خزائنها
أسلاباً وغنائم ... »

مُجِير : « ضاحكا ، إني لأتمله وقد غدا دِهقاناً مَسِيئاً
يَرَفُلُ في طَبَاسِئِهِ ، ويترنح رأسه تحت قَلَنْسُوءٍ
ضخمة شاهقة ! ... »

سراقه : « ودو يتمايل ضاحكا ، ولِمَ لا يكون قد
غدا ساحراً مجوسياً جليلَ القدر يُخَفُّ به الأتباع
والأنصار ؟ ... »

« قبل حازم »

حازم : « لِمَالِك ، أعلمتُ أن مُخْزِئَةً آتٍ بِعِيره من
دُمُسْتَقْ ، وسيبلغ الحى بعد قليل ... »

مالك : « لمن حوله ، هلّوا لا استقباله يارفاق ... اكل
مِنَافِي هذا العير متاع ... »

ابن فياض : هيا ...

« ينصرف مالك ومن معه هند
تختلس النظر الى عبلة كأنها تهم بالحديث .
وعبلة على حالها متشاغلة بمنزلها »

هند : « كأنها تناجي نفسها ، أمر عنتره لم يعد
يشغل بالنا . . .

« عبلة تنابح غزلها غير معنية بما
تسمع »

الدنيا كلها تتحدث في شأنه ... سيوانا ... !

« عبلة كما هي صامتة »

أحيّ هو أم ميت ؟ ... ألا نستطيع معرفة حقيقة
نطمئن إليها ؟ ...

« عبلة منصرفة الى منزلها هند
تثور فتجذب المنزل من يد عبلة »

إن حركة هذا المِغزَل تثير غضبي ...

- عبله : « ناظرة إلى هند ، ثم ماذا يا هند ؟ ...
- هند : ثم ماذا يا عبلة ؟ ...
- عبله : عجباً لك ؟ ... ماذا تريد منى ؟ ...
- هند : أريد أن أعلم : أحي هو أم ميت ؟ ...
- عبله : أو قيل لك إنى عرافة أو ساحرة ؟ ...
- هند : يجب أن تكونى عرافة أو ساحرة لتكشف لك
جَلِيَّةَ هذا الأمر ... لماذا لم تشاركى رجال
القبيلة فى الحديث حين غاضوا فيه ؟ . . . ألم
تسمعى ما قالوا ؟ ...
- عبله : كنت أستمع لصوت منخرلى ا ...
- هند : أصبحت الآن لا تُفارقين هذا المنزل . . .
- هو دائماً معك . . . وأنتِ على نفسك منظوية
لا تنبصين بكلمة . . . ألا يَهْمُكِ أن تعلّى أن
عنتره ما زال حيّاً يرزق ؟ ...
- « عبلة لا نجيب
- والأمير عُمارة ؟ ... ألا يَهْمُكِ من أمره شيء ؟ ...

« عيلة صامنة »

سته أشهر مضت والامير عمارة يجوب فيها البقاع
ليسلم شتات النياق العصفورية ... إنه الناس
ليتناقلون أنه موثق في مسعاه ... سيعود إليك
يوماً ومن ورائه جموع النياق التي أرسلته في
طلبها إني لأسألك نفسى : كيف تصنعين
إذا قدم عليك عنزة والامير عمارة في
وقت معاً ؟ ...

عيلة : « غير مهتمة ، لا أصنع شيئاً ... !

هند : كيف ؟ ...

عيلة : هل قدم الامير عمارة وعنزة ؟ ...

هند : لا ... ولكن ...

عيلة : أراك عجولاً أنريدين أن تسبقى

الحوادث ؟ دعى الأمور تجرى في أعينيتها

يا صغيرتى ...

— ١٠٠ —

« تجذب المنزل من يد هند . . . »

هند : « دوى تحاول أخذ المنزل ، لا . . . لا . . .
أتبغين أن تعودى لمغزلك وصمتك ؟ ...
هذا لا يطاق ا ... »

عبلة : « أتخسبن أنى أصمت إذا خلوتُ بمنزلى ؟ ... إلى .
لأناجيه ويتاجبنى بأعذب الكلام ... تعلّمى يا صغيرى .
أن تكرن بينك وبين مغزلك متاجاة ا ...
هند : « لقد أصبحت أنتِ ودعجاء لا نأسان إلا إلى المنزل .
والصمت ... »

عبلة : « كذلك دعجاء حقا ؟ . . . ستنظر آيتنا
أسبقُ غزلا ا ... »

هند : « مكتوبٌ لك الفوزُ دائماً ... »

عبلة : « ضاحكة ، سأدعها تفوزُ هذه المرة ... »

هند : « بربك خبرينى يا عبلة ، أيا أحب إليك ، حجرُ
الزبرجد أم النّياق العصفورية ؟ ... »

عبلة : « تحديقُ نبيها مبتسمة » وأنت ماذا تفضّلين .

- ١٠١ -

لو كنت مكانى ؟ ...

هند : « بعد روية ، كنت . . . أفضل حجر الزبرجد . . . »

عبلة : والنيساق الالف . . . ألا يهفو لها فؤادك ؟ ...

هند : حجر الزبرجد آمن وأغلى ا . . .

عبلة : « وهى تربت خدنها مداعة ، أنت تفضّلين

يا بنية صاحب الحجر لا الحجر نفسه . . . لقد

شرع قلبك يتفتح حقاً ... حذار يا صغيرتى

حذار ... لقد أصبحت تنافسينى فى حبّ

عنتره ، كدعجا . . .

هند : أظنين أن دعجا تنافسك ؟ ...

عبلة : دعجا تحبّ عنتره ... لم يعد ذلك سرا خفيا ...

ألم نخط له قبراً ليكرن لها مزاراً ومبكّى ؟ ...

لقد جاهرت بمكنون قلبها حين ذاع نعى

عنتره ا . . .

هند : كان خيراً لها أن تجاهر بحبه ، وهو حى مقيم ا . . .

عبد : إني لأحزم من أن تحفل ما تقواين ... إن الميت
لا يملك حبها فكروا ولا رضا ... أما الحي ...
هند : دمنة الجملة ، قلل لسان قد بجوح به قلبها إذا
انقضى الأمر ...

عبد : قلت صواباً ... والقدان وقد حلت إلينا الأنباء
بمس عنترة .. زعي دجاجة قد هدعت القبر وراحت
في لبوس اللؤلؤ الحبول تحاول أن تستر
ذلك الموى ..

هند : ليت شعري ، الأمير عمارة يهو قلبها أيضاً ؟ ...
عبد : بمجمل بنات تريت خي نسي إلينا الأخبار
نعي الأمير ، لتنظر : انحط له أبرأ ؟ ولتوازن
بينه وبين القبر المعنى خطته فلا لعنترة : أيهما
أدلى على صدق القول ؟ .. دعينا من هذا ...
ألا تمضي للمستقبل عيمو دسستق في مقدمها إلى
الحي ؟ ... لا ريب أنها تزخر وفاخر الثياب من
سعدس ودياج ...

— ١٠٣ —

هند : هيا ...

« تهمان بالذهب فتلقاها أم هرم »

أم هرم : إلى أين تقصدان ؟ ...

هند : إلى حيث نستقبل غير دُمُسْتَق ... تتخير من
متاعها ما يحلو لنا ...

أم هرم : ليست بالغير ما حسبوها غيراً ... إنما هو جمع
حاشد من الناس والحياد والإبل ... يبدو لي أنه
ركب أمير عظيم ...

عبلة : أى الأمراء هو ؟ ...

أم هرم : إن الغبار المتكاثف ليعقد حول الركب سحابة
كبيرة ، فلم نستطع أن تبين من
القادم ؟ ... بيد أنى سمعت اسم الأمير عمارة على
كل لسان ...

هند : أحقاً هو القادم ؟ ...

عبلة : يا طالما حملت إلينا أم هرم أبناء عودة الأمير عمارة ،
فلما امتجلينا الخبر اتضح لنا كذبه ...

— ١٠٤ —

أم هرم : وما ذنبى يا بنية ؟ ... لى أنقل ما تلتقطه أذنائى من
حديث القوم ...

هند : وبماذا يتحدث القوم اليوم يا أم هرم ؟ ...

أم هرم : إنك تكذبينى فى قولى ...

هند : أقسمتُ عليك أن تتكلمى ...

« تجتذب أم هرم كلا من هند وعبله

وتسر الحديث إليهما »

أم هرم : إن من بين رجال القبيلة من يتوجسّس سرّاً من هذا

الركب القادم . . . ربما كانت غارة يشنها علينا

أعداؤنا بنو فهد . . . « لعبله » إن أباك يجمع

الجنوع تحرّزاً وأهبة ...

« يقوم حازم مهرولاً »

حازم : ألا تعلمين الخبر ؟ ...

عبله : عجّل وقل ؛ أحرِبْ هى أم سلام ؟ ...

حازم : لقد تجلّى الغبار عن وجه الركب ، فإذا بفارس

يعدو نحونا ... فهل علمتن من الفارس ؟ ...

— ١٠٥ —

عبلة : عجّل وقل... من هو؟...

حازم : احيزرن ا...!

أم هرم : أنى مقام دعاية نحن يا حازم؟... أم تراك أثقلت

في الشراب فجتتنا تهذى؟...

عبلة : قل ، من الفارس؟...

« يظهر عططم فجأة على رأس الربوة ،

ثم يفرز دفعة واحدة ، فيفدو بينهم ، هايله

ثياب فارسية ثينة »

عططم : « وقد سمع سؤال عبلة ، أنا الفارس ا...! »

« عبلة وحند وأم هرم ينظرون إليه لحظة

مشدومات يصحن : عططم ا...! »

« عططم ا...! »

أجل يا أحبائي ... عططم ...

« هند تتعلق برقبتة متصايمة ... يلمع

في رأسها خاطر فترنو إلى عططم جزعة »

هند : وعنصرة ... أحى هو؟...

عططم : إن الموت ليتيسبُ الدنو منه ...

« يتماظم في وقفته متشغلاً »

- ١٠٦ -

لقد نصَّبت عنقرة أميراً على بلاد الترك ، يَجِبِي لِي
الخراج ، وينتقِي لِي غوالي التَّحف ...

هند : دع المزاح ... أين هو ؟ ...

حازم : إنه قادم في حشدٍ مَهِيبٍ من بني الحَيِّ ...

عبلة : « وقد أمسكت بيد عظمم » ، لقد جلبَ لِي معه حجرَ
الزبرجد ... أليس كذلك ؟ ...

عظمم : حجر الزبرجد ؟ ... لا علم لِي بهذا الحجر ... لا أذكر
من أمره أيُّ شيء ...

عبلة : كيف ؟ ... ألم يجُئ عُنُقرةٌ شرق الأرض وغربها
بحيئاً عن هذا الحجر ؟ ...

عظمم : « يضرب كل جبهته بكفنه » ذكرتُ الآن ... أليس هو
ذلك الحجر الذي كان مُشغلُ عنقرةٍ الشاغلُ بَعِيدٍ
ارتحالنا من البادية ؟ ...

عبلة : إنه هو . . . ليس ثمة ما يشغَلُ عنقرةٍ غير هذا
الحجر ! ...

عظمم : الحرب يا بُنيّة ... الحرب ! ... ، كانت

همَّ عنترَةَ الأكبرِ ا ...

عبلة : ألم يعرض عليه التجار حجراً من الزبرجد غير
أصيل ، فأبى أن يقبله ، وأستأف بحشه الشاق ؟ ...

عظمم : لا علم لي بشيء من هذا ...

هند : إن صعباً شداداً حاقت بكما في بلاد الغربة : مرض
فانك ، ضنك مرهق ...

عظمم : « يقهقه مرهواً في ذهاب وجيئة ، بل قولي يا صبية :

صحة موفورة ، غنى عريض ، جاه كبير ... لقد أقبلت

عائنا الدنيا فلم نزل إلا نعيا وعزة ... يدولى أن

أخباراً عجيبية ترأمت إليكم في شأننا ا ...

حازم : لقد حمل إلينا ابنُ فياض نعى عنترَةَ ...

عظمم : « مقهقها ، ولماذا لم يحمل إليكم نعى نفسه ؟ ... »

لقد لقيسينا في وقت كانت الخمر فيه قد لعبت برأسه ،

فلا غرو أن يرى الأحياء أمواتاً والأموات أحياء ا .

« تقدم دجاء ونجلاء ... يقع بصراحة

على عظمم فتذهلان »

دعجاء ونجلاء : « صاغتني مماء ، عظمم ا... عظمم ا... »

عظمم : « مقبلا عليهما متصايحا ، دعجاء ... بجلاء ...
يا الله ... كدت أنكسر كُما ا... »

دعجاء : لماذا ؟ ...

عظمم : « وقد أحاطهما بذراعيه ، ازددتما فتنة تتخاذل دونها
فتنة بنات فارس ا... »

نجلاء : وأنت ... كدنا ننكرك أيضا ا... »

عظمم : أَعْظُمَ حُسْنِي ، وازداد جمالي ؟ ا... »

نجلاء : لا ... ولكن ...

عظمم : « مقاطعاً في تحسر ، إذن لقد ذُبلت فتني ،

وضاع عمري ا... واحسرتاه عليك يا عظمم ...

لم يعد لك حُظْوَةٌ عند بنات الحى ا... »

دعجاء : كدنا ننكرك وأنت في هذه الحلة العجيبة ...

« تلتمس حلته متفحصة »

أم هرم : ما شهدنا هذه الحلة مثلاً بين أهل البادية ا... »

عظمم : هذا حق ... حلة فاخرة نادرة ... « يتخطر في

مشيته ، ولكن لا تنسوا أنها حلة السفر . . . ماذا
تقولون إذن حين ترونني في حلى الأخرى ، مُحلّل
الحرب مثلا ، مُحلّل المخافل ، مُحلّل الولايم ...

حازم : إذن نظّنتك من أكاسرة الفرس أو قياصرة الروم ...
عظمم : بل أبهى منظرآ ، وأسمى مقاما . . . آه لو رأيتم
ما حملناه معنا . . . عجائب وغرائب . . . أرهفوا
أسماعكم يا أحبّاي ... سأخبركم بما معنا ... قلت
لكم : أرهفوا الأسماع . . . مطارف دُءُسْتُقية ،
حُلّل مرّنبانية ، لاذات مرّصلية ، نمارق
زنجانية ، سجوف بوشنجية ، طنافس شيرازية ...
أما الخدم والحشم ، والأرقاء والجواري ، فخذثوا
ولا حرج ...

هند : جوار ؟ ...

عظمم : أجل ... جوار تركيات وروميات وفارسيات ...
قيان لا يوجدن في قصور الملوك ...
أم هرّم : يا للتعجب . . . أبهذا كله أتيتم ؟ ...

عظمم : وأكثر... آه لو سمعتم هذه القيان وهن يغنين
ويعرفن على آلات الطرب ا... لحازم، : ... ألك
علم بآلات الطرب ؟ ...

حازم : إنها الطبلُ والمِزمار ...
عظمم : « مقهقها ، يالْكُخفلة ... أى طبل وأى مزمار ؟ ...
أزحفوا أسماعكم يا أحباى ... إنها : الجِئْنُكُ ،
والأَرْغَمْنُ ، والمِزْهَرُ ، والصَّنَجُ ، والقيثارة ،
والبربط ، و ...

أم هرم : « مشدوّهة ، البربط ؟ ...
عظمم : أجل ، البربط ... البربط ... تن تن تن ... « يحاكي
رنين الأوتار ، لو سمعته يا أمّ هرم وهو يرسل
أنغامه العذاب لرأيت هذه الباديةَ الجرداء وقد
استحالت فردوساً وارفاً الظلال ، تجوس خلاله
جداولٌ من لجّين ، ولا حسّت قلبك يتقد
جباً وصباية ا ...

عبلة : « لعظمم ، لعلمكم قد أصبتم كنزاً ، أو أمطرتكم

— ۱۱۱ —

السما ذهباً يا عظمم ! ...

عظمم : لا هذا ولا ذاك يا بنية ... إنها الحرب ... الحرب

العُـسـروس ... بسواعدنا أصبنا ما أصبناه ... في كل

أرض هبطناها كان النصرُ معقود اللواء لنا ... لقد

طوئنا في البلاد شرقاً وغرباً ، مُجزنا بقاع السند ،

وشارفنا جبال القفجاق ، طوينا سهول الشَّيروان

والموقان ... مُلاحقنا الغنائم أنى حللنا ، ومُتقلُّ

الأسلابُ رواحلنا ... ألم يترام إليكم النبا

العظيم ؟ ...

هند : أى نبياً تريد ؟ ...

عظمم : لقد عرضوا على عنترة مُلكَ كلوذستان

الرَّحيب ...

الجمع : د يرددون ، مُلكَ كلوذستان ؟ ...

عظمم : ولكنه أبى أثرَ على مُلك كلوذستان

رجعته إلى الأهل والعشيرة ... أثر أن يستأف

معكم حياته الأولى ... إنه ليُسكنَ لكم أعظم الحب

— ١١٢ —

لو تعلمون يا أحبّاي ...

دعجاء : أكان يذكّرنا ؟ ...

عظمم : لم ينس منكم أحداً ... كان يذكّر الصغير قبل
الكبير ...

هند : ماذا كان يقول في عبلة ؟ ...

عظمم : « مفكراً ، في عبلة ؟ ... سألتني ! ... » مفكراً أيضاً ،
ذكرتُ ، كان يقال إنها كالقطة ، لا تحسن غير
التخميش والمُواء ...

دعجاء : « ضاحكة ، لعلبة ، لقد أحسن وصفك
يا عبلة ! ...

عبلة : إن تلك القطة هي التي يقول فيها :

أنت للعين ضياء أنت للروح دواء
أنت يا عبلة أنس لفؤادي وهناء

نجلاء : إنه شعره قاله فيك قبل رحلته ...

عبلة : لقد كان يردد شعره في وهو في بُحْران الحمى ،
وسيف الموت على رأسه مُصَلَّت ! ... » لعظمم .

ألم يفعل ؟ ...

عظمى : أذكر أنه كان يردد نشيده هذا في بدء حياته
هنالك ... ولما طوته الحياة الصاخبة في لجتها ،
ودفعت به الحرب في معانها ، رأته قد
استبدل بهذا النشيد نشيداً آخر كان يرغب إلى في
أن ألقيه على سممه ...

عبلة : « مهمة ، أجرؤ على أن يفعل ذلك ؟ ...

هند : أى نشيد كنت تلقيه على سممه ؟ ...

عظمى : أرهقوا أسماءكم ...

« يئس ... »

وفي يومٍ المانع قد تركنا

لنا بفعلنا خبراً مشاعاً

أقننا بالذوابل سوقَ حرب

وصبّرنا النفوسَ لها متاعاً

جِصاني كان دلالَ المنايا

نفاض غمارها وشرى وباعاً

وسيفى كان فى الهيجا طيباً

يداوى رأس من يشكو الصدا

حازم : د يضحك ، وهو يردد ، يداوى رأس من يشكو
الصدا ... ما أظرفه ا ...

عبلة : د مهممة ، سخر وهراء ...

دعجاء : يلوح لى أنه كان لا يُعنيه إلا سيفه وحِصانه ...

عظم : الحرب . . . الحرب دائماً كانت تملأ رأسه ،

فلا يفكر إلا فيها ... د يلتفت لى الواقفات حوله ،

ولكنه لم يسكن ... لقد أعد لكل منكن هدية فاخرة .

هند ودعجاء ونجلاء : د معا ، بماذا أتى لنا ؟ ... بماذا أتى لنا ؟ ...

عظم : صبركن يا صغيراتى ... إنه سرّ لعنزة

لا يبوح به لأحد ...

عبلة : لى أعرف ما خصنى به ... لا أجشمك مشقة البوح

بالسر ... إنه حجر الزبرجد ا ...

عظم : لى أن أتكلّم فيما لا أدريه ، ولكنى على يقين

أن وفاحه ملى بغوالى التحف وروائع الأمتعة

— ١١٥ —

وبدائع الحلى ... اطمثوا ... لَيُغْدَقَنَّ عليكم
طرائقه ا ... لم أحدثكم بعدُ في أعجوبة الدهر
ومعجزة الدنيا ...

هند : ماذا تقصد ؟ ...

عظمم : أقصد بهرُوزَ ... الطاهى الذى استقدمه عنتره
معه ليُعيدَ لكم طعاماً لم تعرفوا له من قبل مذاقاً ...
أم هرم : كيف ؟ ... أليس فينا من تحسِنُ طهىَ الطعام ؟ ...
عظمم : وهل تحسِنين يا أمَّ هرم أن عنتره يُسَيِّغَ الآنَ
أكل الثريد والمجيع ؟ ... إن طاهيننا نوبَسَدَ جانيُّ
المنبِتِ ، قد برَّعَ فى صنع الفالوذق
المزَّعْفَرِ ، واللَّوْزِ يَنْسَجُ المعطر ، والطَّبَّاهِجِ
الرَّشْرَاشِ ، و ...

« تسم ضجة ، فيمسك عن الكلام
عظمم ، وينصت الجميع ... ثم يصيح
عظمم »

لأنه هو ... عنتره ...

حازم : « وقد تطلع إلى مبحث الضجة ، ها هو ذا مع الشيخ

مالك ، وحوطها لفيفٌ من بَنَى العشيرة ...

« لا تكاد عملة تسمع ذلك حتى تنقل إلى ...

خبائها فغيب فيه ... همد نقفوا أثرها . »

دعجاء : « لنجلاء ، جانباً ، يحسُّسُ بنا ألا نلقاهُ في ...

هذا الحشدِ الجَمِّ ... هلستُ نرحل يا نجلاء ...

نجلاء : « لدعجاء ، هامة » - « لا يحسُّن بك أن نكلاقة ...

وأنتِ طاطلٌ لازِبةٌ ولا طيب ا ...

دعجاء : حسبك ا ... ما هذا ؟ ...

« تصرفان الضجةُ زداد ، ويسم تصارع ...

القوم وعتاف الفتيان وأغاريد النساء . عنبرة

يبدو في حلة بالغة البهاء ، وهو يتخضر في ...

خطاه ، وقد أحاطت به من رفته له ، بينهم

مالك وابن فياض وسراقة وبحير وابن

الزاهد . . . حلف عنبرة مواليه في ثياب

فارسية زاهية ، وهم شاه والسلاح ... »

عنبرة : « في طهجة الإمارة ، لأحد مواليه ، هيسا ...

لا تتوانوا في ضرب الخيام ، وأحسنوا تنسيقِ

الببْطُ ، ونثرَ النبارق ، وتعليق النباريس ، وإطلاقِ

البَخُور ... أسرعوا ...

المولى عنتره: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنتره : « لمولى ثان من مواليه ، مرثم يفكثوا وثاق
الصناديق ويضعوها فى الجباء الكبير . . . وليقم على
حراستها اذ دشير ... أسرعوا ... »

المولى الثانى: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنتره : « لمولى ثالث من مواليه ، قل لهرور انحر عشرين
جزورا ، وفرق لحومها فى الناس ... وقن لرنجان
امنح ذوى الحاجة أعطيات من الدراهم والدنانير ... »

المولى الثالث: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنتره : « لمولى رابع من مواليه ، وهذا الرجل الذى تصدى لى
فى الطريق مستخفّا فصرعته ، ماذا صنعتُم به ؟ ... »

المولى الرابع: ألقينا جُثته بجوار صخرة معاد ...

عنتره : « فليدق له عمودُ هناك ، ولتعلق جُثته ثلاثة أيام
منهبي للنسور والغربان ... لقد تصدى لعنتره ، »

فليلق أشدَّ النِّكال ! ...

« ينصرف مهرولا »

عنتره : « يتلفت حوله ، أين أردبيل ؟ ... أين أردبيل ؟ ... »

« تمنى برهة لا يجيب فيها أحد فيسبح » : أين

أردبيل ؟ ... « يظهر أردبيل وهو يردد خوفاً ، أقبلْ »

أيها الآذن الماهر ... كيف سمحتَ لهذا الأعرابي

أن يتصدَّى لي في الطريق ؟ ...

أردبيل : « في ذلة وخوف ، مولاي ... لقد كنت ... »

عنتره : « اذهب إلى بسطام فدعه يضربك خمسين سوطاً ، »

جزاء تفريطك ! ... « يتضرع أردبيل ويتشفع ... »

يرميه عنتره بنظرة نكراء ، قلت لك امض إلى بسطام

بُنْفَذْ فيك عقوبة التفريط ... خمسين سوطاً ! ... »

أردبيل : « وهو يطأطأ رأسه ، أمرُ مولاي ... »

« ينصرف ... يقع بصر عنتره على حازم »

« وأم هرم »

عنتره : « لحازم وأم هرم ، من أرى ؟ ... حازماً ؟ ... »

أم هرم ؟ ... أقبلاً ، أقبلاً ، « يبسط لها ذراعيه ، »

فيقبلان عليه ، فيحييهما ، كيف أنتما ؟ ...

حازم : بخير ما دمت أنت بخير يا بُني ...

أم هرم : ألف حمد لله ... لقد اكتحلت بمرآك عيناى قبل أن

أموت ... بلغت منأى ا... !

عظمم : تموتين ؟ ... من قال ذلك ؟ ... إن الموت لا يتوخى

الصبايا يا أمَّ هرم ! ... إنه ليستحى أن يمدَّ منجله

ليحصد النهن الرطيب ! ...

عنتره : « متلفتا حوله » ما أسعدنى بلثماكم بعد طول

ارتحال ! ...

مالك : لقد سعدت بأوبتك الدائر يا فقي العرب ...

سراقة : لقد عاد إلى البادية ربيعها الذى يُنعم عليها بالنماء

والخصب والنضارة ...

بجير : لقد استيقظت أفندتنا ، ودبت فيها الحمية

والفتوة بعد أن ران عليها سمبات عميق ...

عنتره : ألم تكن لكم غزوة من الغزوات فى مغيى ؟ ...

ابن الزاهد : كانت لنا مناوشات لا شأن لها ... أعوزنا الرأس

المدبر ، والنساء الأشد ، والقلب الجسور ، فتهيبنا
جلال المواقف ...

عنتره : إني لمشوق إلى الخروج معكم في غزوة نفتك فيها
بالعدو ... خبروني : ألم تؤمروا عليكم سيداً يقود
جموعكم إذا جدت الحرب ، بعد أن أتاكم نعيي ؟ ...
« يتبادل بجير وابن الزاهد نظرات الحيرة ، ...
ابن الزاهد : لم نصدق شائعات سوء ... أنت السيد غبت
أو حضرت ... طال عُمرُك ! ...

عنتره : « دلتفت إلى ابن فياض ، ولكن أخانا هذا يدعى
أنه أنزلني للحدّ وسدني التراب ...
ابن فياض : لم أنيس بمثل هذا القول يا عنتره ...

عنتره : « مغضبا ، بل نكسنت بما هو أدهى ...
عظمم : لقد رأنا في كرمنا من يد السؤال لكل رائح وغاد .
عنتره : أعنترة شريد يستجدي ؟ ! ...

« يمسك با بن فياض من قفاه ، ويهزه ، أتجسرو
أن تقول مثل هذا ؟ ...

- ١٢١ -

ابن فياض: نزلتُ على من السماء صاعقةٌ إن كان لسانى قد
جرى بمثل هذا ...

عنترة : « وقد دفع ابن فياض فألقاه بهيئدا ، لم ينته
حسابك معى بعد ... اغربُ عن وجهى الآن ...

• ينصرف ابن فياض الى جانب وهو يتمتر
وعلا . وهند تسارق النظر من جانب الحجاب
ثم تخرج ، فيقيم عليها بصر عنترة ، فيجدق
فيها مليا

من ؟ ... هند ؟ ... أقبلى ... أقبلى ...

• يبسط لها ذراعيه ، فتدنو منه في تردد
وتجمل

لم هذا التباطؤ ؟ ... تعالى إلى ...

عظمم : إن هذا لحَيِّيةٌ ... إنها لأقرب شَبهاً
بالنَّيلُوفرة الغضة ... تخشى دائماً الحَظاظ
الرقباء ... !

مالك : نَيْلُوفرةٌ ؟ ... ماذا تَعْنى ؟ ...

عنترة : « ناظراً إلى هند ، لقد أحسن الوصفَ عظمم ...
إن النَّيلُوفرةَ أميرة زهر الماء يا هند ...

— ١٢٢ —

- هند : « وقد تدانث منه ، عنتره ... »
- عنتره : « وقد أحاطها بذراعيه ، إن شمسَ البادية يا غادتي الصغيرة تجيد إلهناج الأجسام ... لقد أصبحت فتنةَ الصحراء ... »
- هند : وكيف أنت ؟ ... ألقيتَ من السفر عناء ؟ ... »
- عنتره : إن كل عناء ليزوبُ ويتزائل حين تَقَرُّ العينُ بمرأى الأهل والعشيرة ... وأتم ، كيف حالكم ؟ ... »
- هند : نحن في خير وسلام ... »
- عنتره : وهوئيجباتك ؟ ... كيف حالهن ؟ ... »
- هند : كاهن على ما يرام ، كنّ دائماً يسألنَ عنك ويتسَقطنَ أخبارك ... »
- عنتره : لا أرى منهنَّ واحدة ... »
- هند : تركتُ عبلةً في الحياء تتأهبُّ للخروج إليك ا ... »
- عنتره : « وقد بدا عليه تنبهه ويقظة ، عبلة ... كيف هي ؟ ... »
- « تنظر عبلة من جانب الحياء »
- أما برحتُ على حالها طفلة تحمّش وتموء كالقطة

— ١٢٣ —

العابثة ؟ ... « يهقهقه عنـترة فيتضاحك الجمع
مجاراة له ، ... لماذا لم تجيء ؟ ... « تقبل دعجاء
ونجلاء ، ... من أرى ؟ ... دعجاء ؟ ...
نجلاء ؟ ... أقبلا ... أقبلا ...

« يحسبها مشرق الوجه . . . يلتفت إلى
عظمم »

ما قولك يا عظمم في غيد البادية ؟ ...

عظمم : نَسِـلُـوْـفَـرَاتُـنْـوَاَضِرْـنَـمَـاْ جَدُّـوَلْ رَقْـثَـرَاقِ ...
عنـترة : « لدعجاء ونجلاء وهند ، ناظر آلهين بشغف » حَقّاً
ما أسعدني برؤيتك ! ...

مالك : عجباً لعبلة ... أين هي ؟ ...

هند : « منادية ، عبلة . . . عبلة . . . إن عنـترةَ يطلبك

« تظهر عبلة أمام خيائها متلعة بجلد
الضرغام . . . تلبث واقفة كأنها ترتقب
تقدم عنـترة لتحياتها . يقبل عنـترة فجأة على
مالك منهكاً في الحديث »

عنـترة : « لمالك ، كان المطر غزيراً هذا العام في البادية

فلم تشكّ قَحْناً ولا جدباً ... أليس كذلك ؟ ...

— ١٢٤ —

مالك : كان الخير وافراً ...

« تسرع هند إلى عبلة وتودع سمها كلمات »

هند : « لعبلة ، تقدّمي .. يلوح لي أنه لم يرك ...

« تلبث عبلة واقفة ... تصبح هند بمنزلة »

تلك هي عبلة ... عبلة ...

عنتره : « يلقى نظرة على عبلة ، ويقول في لهجة لا تخلو من

بجالة ، عبلة ... تقدّمي ... كيف أنتِ ؟ ...

عبلة : « وهي في مكانها ، أنا بخير ... وكيف أنتِ ؟ ...

« يذهب مالك إلى عبلة ، ويأخذ بيدها

إلى عنتره

مالك : « لعنتره ، إنها حيّية ... نفور ...

عظم : « نيلوفرة أخرى ! ...

عنتره : « لمالك ، عهدتها شيطانة لا تفنأ تلهو وتعبث ! ...

مالك : « ذلك عهد مضى ... لقد تذاير اليوم طبعها ، وبدلت

حالا بحال ! ...

هند : « إنها تلوذ الآن بالصّمت ، وتلازم دائماً منزّلها .

عنتره : « لعبلة ، كيف ؟ ... أكذاك أصبحت حقاً ؟ ...

— ١٢٥ —

- عبلة : لا مبالغة فيها سمعت ! ...
- عنبرة : ولم تلوزين بالصمت وتلازمين المغزول ؟ ... أفى
 صحبة الناس ما تضيقين به ؟ ...
- عبلة : رافعة بصرها إليه محدقة فيه ، لقد بدالى أن الوفاء
 فيهم قليل ... !
- عنبرة : الوفاء يا فتاتى كلمةٌ جليلة المعنى ، أخشى ألا تكونى
 مدركة إياه ...
- عبلة : إنى لأذكرك معنى الوفاء حق الإدراك ! ...
- عنبرة : متضاحكا ، وهو يميل على مالك ، إنها تتكلم بلهجة
 الحكماء والكهَّان ! ...
- مالك : ألم أفل لك إنها تبدلت خلفاً آخر ؟ ...
- هند : لعنبرة ، أنجدُها قد تغيرت حقاً ؟ ...
- عنبرة : محدقا فى عبلة ، مخاطباً هنداً ، أراها قد ازدادت
 سُمرة ! ...
- هند : إنها لعلى خلاف ذلك ... كيف تزدادُ سُمرة وهى
 لا تَبرِّيمُ خبائها إلا قليلا ؟ ...

— ١٢٦ —

عظمم : قد يكون قولك الحق يا هند ... ولكن لا تنسى أن
عيوننا قد ألفت رؤية البيض النواصع من نساء
الفرس والروم ، فأصبحنا نرى لونكن أشد
سمرة مما كنا نرى ...

مالك : وهل في السمرة ما يُعاب ؟ ...

عظمم : لا ... إنما هي الحسنُ خالصاً ! ...

ابن فياض : لعظمم ، ربما كان لعنترة رأى غير ما ترى ...
عنترة : الحق أن لكل لون روعته ... فالنباق تختلف ألوانها ،
ولكل لون فضلٌ ومنزلة ...

هند : ما هذا ؟ ... أنباقُ نحن ؟ ...

عظمم : فيكنَّ منها شبهة : الرشاقة ، والدلال ، والنفار ،
والظرف ، والحقاقة ، و ...

مالك : لم يُخبِرنا عنترة أي ألوان النباق يفضل ؟ ...

عنترة : متضحاً ، ألوانها عندي سواء ... ولقد اقتنيت
منها طائفة مختلفة الألوان ، ولاني بها لسعيد ...

عظمم : هذا شأن عنترة مع الجوارى أيضاً ...

- ١٢٧ -

سراقه : « لعنترة ، عجباً لك يا عنتره ... ألا تُؤثر لونا
على لون ؟ ... »

عنتره : في أى النوعين : الجوارى أو النسيان ؟ ...

سراقه : « متضاحكا ، فى كليهما ... »

عنتره : حين يشدبه على الأمر أدعو بعظمم يتخير لى ...

« يتضاحك الجمع »

عبلة : وهل يُحس عظمم ما يهفو إليه فؤادك ؟ ...

عنتره : إني بذوق لراض على أية حال ... وإنه ليحسن

الاختيار أئما إحسان فى هذا الأمر وحده ...

ولست أهد إليه فى اختيار سيف أو فرس ، فهذا

أتولاه بنفسى ، ولا أعول فيه على غيرى ...

عظمم : إنك لتخلو يا سيدى ...

ابن فياض : « لعظمم ، حسبك ما نلت من خبرة ومجد فى

شئون الجوارى والنسيان ... »

« يتضاحك الجمع ... يدخل مولى من

موالى عنتره ويدنو منه »

المولى : وَفَدَتْ أَشْيَاخُ بَنَى الْأَرْقَمَ وَبَنَى أَيْمَنَ وَبَنَى صَاعِدَ
ترغب في لقاءك ...

عنتره : أَذْخِلْهُمْ السُّفْطَاطَ الْكَبِيرَ ... « لِمَالِكِ » ...
أَلَا تَسْتَسْقِنِي إِلَيْهِمْ ؟ ... إِنِّي لَأَحِقُّ بِكَ بَعْدَ هَنِيئَةٍ ...
أريد أن أستبدلَ بَثْيَابِي ثِيَابًا أُخْرَى ...

مالك : سَأَفْعَلُ ... « يَلْتَفَتُ إِلَى الْجَمْعِ ، فَلَنَهَضَ إِلَى الْوَاقِدِينَ
لِتَزْدُيَ لَهُمْ حَقَّ الْحَفَاوَةِ ...

« ينصرف مالك والجمع في أثره ...
لا يبقى إلا عنتره ، وعبلة ، وهند ، ودعجاء
ونجلاء وعططم ... »

هند : « لَعْنَتُهُ » كَيْفَ تَرَى الْبَيْدَاءَ بَعْدَ غَيْشِبَةِ عَامِينَ ! ...
عنتره : أَرَاهَا كَمَا هِيَ ، فَرِيدَةً فِي عَظَمَتِهَا ! ...

هند : إِنَّكَ لَتَخَادِعُ نَفْسَكَ ...

عنتره : كَيْفَ ؟ ...

دعجاء : هِنْدُ عَلَى حَقٍّ ... لَقَدْ أَلِفْتَ حَيَاةَ الْحَضَرِ ،
وَتَعَوَّدْتَ عِيشَ الرِّخَاءِ وَالتَّرَفِ ، فَلَيْسَ بِدَعَا
أَنْ تَبْدُوَ لَكَ الْبَيْدَاءُ نَافِئَةً تَبْعَثُ عَلَى الْمَلَلِ ! ...

عنتره : حسبي أن أحيا ينسكن ، فأحسّ الدنيا حولي فردوس
بهجة وانضارة ا ...

هند : خداع ومغالطة ا ...

عنتره : ما برحتِ على حالك يا هندُ طفلةٌ ملِستُ عناداً ...
أخطأت إذ حسبتك قد صرتِ صبيةً مكتملة
العقل ... أين فيما قلت المغالطةُ والخداع ؟ ...

هند : أتريد الحقَّ الصّراح ؟ ...

عنتره : لا أريد سواء ...

هند : إني لا أكاد أعرفك ا ...

عظمم : اذهب فاستبدلْ بثيابك الفارسية ثيابَ البادية حتى
لا يتسكرك الأهل ...

عبلة : الثياب مظهرٌ خارجي لا شأن له بباطن النفس ...

عنتره : أتغيرت حقاً ؟ ...

هند : إني لا أنظر إليك نظرة إلا عرّتني رعدة ... ا

عنتره : د ضاحكا ، أو أصبحت خيفاً إلى هذا الحد ؟ ...

عظمم : كنتَ قبل أن ترتحل عن البادية خيفاً ... لست أنسى

أن الأمهات كن يخوفن بك أطفالهن ...

عنتره : « يرمقه بنظرة شزراء ، عظمطم ...

عظمطم : لماذا تنظر إلى هذه النظرة ... لزام على أن

أصارك بالحق ...

عبلة : « لعنتره ، لم يفتر عليك عظمطم ... لقد كان ظاهرك

يلقى الرعب في النفوس ، ولكنك كنت تُكن بين

جوانحك قلب حملٍ وديع ...

عنتره : « لعلة ، والآن أي قلب أركن بين جوانحي ؟ ...

عبلة : سؤال جوابه إليك ...

هند : يبدو لي أنه ليس قلب حملٍ على أية حال ...

عظمطم : القلب لا يتبدل ...

بجلاء : قد يعتري القلب بمض التغير ...

عبلة : ولكن جوهره يبقى كما هو ...

دعجاء : قد تتغير اتجاهاته ومنازعه ...

عبلة : العبرة في كل شيء بالجوهر ...

دعجاء : إن القلب يلين للملابسات الحياة ودوافعها ...

— ١٣١ —

عنتره : أسائِل نفسي : أينما الذي تغير ، أنا أم أنتن ؟ ...
أهؤلاء صبايا البادية اللواتي تركنّهنَّ غيراتٍ
في سداجةِ الطفولة ؟ ...

عبلة : أكنتَ تريد أن نظلَّ أطفالا أبداً الدهر ؟ ...
عنتره : كلا ... وكذلك الحمل الوديع لا يظل أبداً الدهر
حُملاً وديماً ! ... إنه ليخدو كَبَشْشاً عنيماً ! ...
عبلة : إن بن الكباش ما ينكشف لك عن وداعة
الحُسلان ! ...

هند : أجبني يا عنتره ، فيم طالت غيبتك ؟ ...
عنتره : شغلتنى الحرب يا هند ... لا أنهي من موقعة حتى
أخوض غمار أخرى ... وللحرب يافتاني سحرٌ يأسر
القلوب ! ... إنها الحرب : سيوف تلمع ، ورءوس
تتطاير ، وذماء تتساقط ، وغبار يمقد في السماء
محائب ، وأصوات هدايرة يردّد أصداءها الفضاء
الرَّحْب ... وأنا على صهوة « الأبحر » : حصاني
الأعزّ يصدع بمحممته الصفوف ، ويميني « الظامي » ،

— ١٢٢ —

سيفي المسلول تنهاوى على حدة الهامات ... تلك هي
الحرب التي وهبتها عقلي وقلبي ، ووقفتُ عليها
عمرى أجمع ا...

هند : ولكن خبرني : أمن أجل الحرب رحلتَ عن
الديار ؟ ... ما كانت المعارك تُعوزُك في اليباء ا...

عنزة : ليست معارك اليباء بالتي تشفى غلة الصادي ...
شراذم قليلة يمدى بعضها بعضاً في غير حمية
ولا تحمس ا ... أمّا هنالك فجيوش حاشدة ينحسر
عنها الطّرفُ ، إذا أقيتْ أو أدبرتْ خلفها العباب
تدفع أمواجه ويعلو صخبه ، ثم لا تنجلي الموقعة
إلاّ عن أسلاب وغنائم يُخطئها الإحصاء ، وإذا
بالمتمصر تدين له بلاد وخلاتق ، وتنحنى له رهوس
زانتها التيجان ، وإذا بالدنيا مقبلة تزفُ الجاه
والسلطان ا ...

هند : كلنا يعلم أنك رحلتَ عن الديار من أجل علة ...
تطلب لها حجر الزبرجد ا ...

عنبرة : « مردداً في تذكر ، حجر الزبرجد ؟ ... حجر
الزبرجد ... ربما كان ما تقوين حقاً ، بيد أني
ماكدت أغادر الديار حتى أنفسيثني قد اندفعت
في حربٍ موصولة الوقائع ، لا أبالي إلا للنصر
وكسب المغنم ... وأبصرت الفرصة قد وانتفى لأقيم
لهذا « العربي » الذي استهان به أعلاجُ العجم صرحاً
يتعالى على كل صرح ، ومجداً يتصاعرُ دونه كل
مجد ... لقد تركتُ في كل بقعة حاسلتُ بها أراً
مذكوراً من آثارى ، وخبراً ذاتعاً من أخبارى ، فالتناس
يتناقلون حديثي في رهبة ولا كبار ...

دعجاء : « حسنٌ ما تقول ، ولكن أكبر الظن أن الحرب
لم تكن وحدها شغلَكَ الشاغل ... ليس يبعد
أن تكون حياةُ الفرس بما فيها من مناعم وأطايب
هى التى حجزتْك عنا هذا الزمن الأطول ...

تجلاء : « حياةُ رفاقة في القصور بين الغوانى والقسيان ... نحن
نعلم أن لعنرة قلباً طيغاً لألحاظ الحسان ...

عنترة : كان لي هذا القلب أيام كنتُ أنسرحُ في سداجة
البدواة ... أما اليومَ وقد خضتُ غمار الحياة في
فارس، وبلوت معايناتِ الهوى بين الغنيد، فلم يعد لي
فؤاد يهتز لسحر العيون ا ...

دعائم : وهاته الجوارى اللواتى يزدحيم بهن خباؤك ؟ ...
عنترة : لمن لسوانح المتعة وحسبُ ... ، يخاطب الجمع ، :
لماذا لم تسألتنى عما أحضرتُ لكن من هدايا
ومطرّف ؟ ...

عظمم : يا لها من هدايا وطرف ا ... حتى نادرة ، وملابس
فاخرة : أقراط ، وششوف ، ومعاصد ، وعصائب ،
وخلاخل ، ودمالج ، ودُرّاعات ، وُبَسّانات ،
وقراطق ... حتى الخفاف المبرقشة لم ينسها ...
آه من الخفاف المبرقشة يا أجباى ا ... شد ما تجمل
القدّم في هذه الخفاف حين تتخطر على البساط
الموثق ا ... كل ذلك لكنّ أتّن ، يتحف به عنترة
صويحاته الصغار من بنات العشيرة ... ديمس في

— ١٣٥ —

- آذانهم ، : إنه ليضمرُ لكرَّ أكبر الحب ! ...
- هند : ألسنا لهذا الحبُّ أدلاً ؟ ... سألني ماذا فعلتُ هذه
الصويحباتُ الصغارُ حينما جاءهن نبالُ مصرعه ...
- عنزة : ماذا فعلتنَّ ؟ ...
- نجلاء : أقامت دجاء لك قبراً كانت تسُحُّ عليه الدموع ،
تتاجيك وتتاديك ...
- عنزة : « وقد شد على يد دجاء ، يا للوفاء ! ... وأين مكان
هذا القبر يا دجاء ؟ ...
- دجاء : لقد هدمتُ القبر يا عنزة ! ...
- عنزة : كيف ؟ ...
- هند : هدمته حين انتهى إليها أنك ما تزال حيًّا ... ما أغناها
عن القبر الآن ، وقد رجَّع إليها صاحبُ القبر ! ...
- عنزة : « لهند ، وأنت يا صغيرتي ماذا صنعتِ حين وافتك
نعيِّي ؟ ...
- نجلاء : كانت تذهب إلى الربوة ؛ ربوتك التي كنت تألفها ،
فتذكرك وتتاجيك ! ...

- عنتره : « لهند ، لقد أحسنت الاختيار ... شكرًا لك ا ... »
 « يلتفت إلى نجلاء ، وأنت ماذا كان صنيعك ؟ ... »
 هند : كانت تؤم الشعب الذي كنت تتخذه مرقبة
 لصيدك ، فتذكرك وتناجيك ا ... »
 عنتره : « لنجلاء ، يا لنبالة النفس ا ... »
 « يقف أمام عبلة محدقاً فيها ملياً ، وأنت ماذا فعلت ؟ . »
 هند : كانت تختلفُ إلى غدير ذات الإصا د ... »
 عنتره : ما أجملهُ مكاناً ا ... »
 هند : بل ما أعزّه من مكان ا ... أليس هو موطن حبيبا
 ومهدّ هواكما ؟ ... »
 عنتره : ظريف ما تقولين ... « لعبلة ، أكنتِ تختلفين إلى
 غدير ذات الإصا د لكي تذكريني وتناجينني ؟ ... »
 عبلة : كلا ... »
 عنتره : إذن لم تفعل من أجل شيئاً ا ... »
 عبلة : ماذا كنت تريد مني أن أفعل ؟ ... »
 عنتره : أن - نذرني على دمة واحدة ... واحدة على الأقل ا . »

— ١٢٧ —

- عبلة : كنت أعلم أنك عائدٌ إلينا لا محالة ...
- عنتره : أكان محالاً أن أهلك ؟ ...
- عبلة : لن تهلك قبل أن تنيلني ما طلبت ! ...
- عنتره : « ضاحكاً ، لقد جلبتُ معي عجائبَ وغرائبَ ،
فتخيري منها ما تحبين ...
- عظمم : « لعنتره ، أما الآن للصناديق أن تفتح ، وأن تنسمَ
الهدايا عيرَ الصحراء ؟ ...
- نجلاء : في الوقتُ فسحة ...
- عظمم : خيرُ البرِّ عاجله يا حسنائي ! ...
- عنتره : إنه ليزوب شوقاً إلى فتح الصناديق من أجل نفسه ...
- دعاء : « لعظمم ، ألك فيها مآرب ؟ ...
- عظمم : مآرب شتى يا حسنائي ! ... لقد وعدني مولاي عنتره
أن يخصني بطرف نفيسة ، جزاء ما صنعت من جميل !
- عنتره : أصنعت لي جيلاً ؟ ... أخبرني ما هو ؟ ...
- عظمم : أتفكر أنك أنجيتني من هلاك محتوم في وقعة
« المطر » ؟ ...

عنتره : أذكر ذلك ...

عظمم : لو منعته أن تتسجىنى ، وتركتُ جسمى تخترمه

سيوفُ العِدا ، فماذا كان يقع ؟ ...

عنتره : كنتَ تموتُ ويمنو أترك ...

عظمم : بل إن عنتره العظم هو الذى لا قدر الله يندثر أثره ،

ويضيع ذكره ! ... إن موتَ عظمم راوية عنتره

وناقل أخباره ومذيع اسمه فى الخافقين لَيْسَ من

المصائب الجِسام التى ألزمتُ نفسى بأن أدفعها عنك ...

أطمئن ... ان أتخلىَّ عنك قط أيها المولى العزيز ! ...

عنتره : حقاً ما أكرمَ ما صُننت ! ...

« تتضاحك الفتيات »

عظمم : « اللقيات » ، إن من بين ما وعدنى عنتره بإهدائه إلى ،

طيلساناً من الخزّ الخُسر وانى له لون الأرجوان ...

ليس فى سائر التحف ما يَحْسِده نفاسه إلا طيلسان

شيخنا مالك ... إلى يا صويحبائى ، إلى لكى أطلعكنَّ

على ما لا عين رأت ولا أذنٌ وعت ولا خطر يال !

- ١٣٩ -

هند : هيّا ...

عنزة : د لطمطم ، افتح الصناديق ودع الفتيات يتخيرن

ما يحبن ... أسامع أنت ؟ ...

عطمطم : السمع والطاعة لمولاي ...

» ينصرف آخذاً بيد هند ومعهما دعجاء

ونجلاء ... تبقى مبللة مع عنزة . . . »

عنزة : لم لم تمضى مع عطمطم اتختارى لك شيئاً ؟ ...

عبلة : ليست هديتى التى أريدها من هذه الهدايا ... أنت

بهديتى عليم ...

عنزة : تعنين حجر الزبرجد ...

عبلة : لا أعنى سواء ...

عنزة : ألا تروى لك قلائد العقيان ، وعقود الجمان ؟ ...

عبلة : يروقى أن تنجز وعدك إياى .. وعدك الذى من أجله

اعتريت ، وفى سبيله تجشمت المصاعب والأهوال ...

عنزة : د متضاحكا ، اينك طلبت شيئاً أثمن من حجر

الزبرجد ... لقد كان يساع فى أسواق فارس كما

— ١٤٠ —

يباع التمر في البوادي ...

عبلة : ألم تحضره ؟ ...

عنزة : أُمِصْرَةٌ أَنْتِ عَلَى أَنْ تَطْلِيهِ ؟ ..

عبلة : سبق لي أَنْ طَلَبْتُهُ ، وسبق لك أَنْ وعدتني به ... هذا

كلُّ ما في الأمر ...

عنزة : سأكلف عظمًا أَنْ يحضره لك الآن ...

« يلتفت نحو الطريق الذي ساكه عظمهم ،

ويهم بأن يناديه »

عبلة : لَا تَعْجَلْ ... إِنَّهُ الْآنَ فِي شُغْلٍ ... يوزع الطرف

على الصوتيات ...

عنزة : وَدِدْتُ أَنْ تَتَّقِيَ لَكَ بِبُضْ نَظْرَتِكَ الْطَرَفَ ... ما قرأك

في الخلاخل العسجدية المرصعة بفصوص اللؤلؤ ؟ ...

عبلة : لَا أَحِبُّ الْخَلَائِلَ ، إِنَّهَا كَقِيُودِ الْأَسْرَى تَشْعُرُ مِنْ

يَلْبَسُهَا بِالْمَذَلَةِ ...

عنزة : عَجَبًا ... أَتَسْرِيهَا كَذَلِكَ ؟ ...

عبلة : وَإِنِّي لِأَرَى « الرَّجُلَ » ، مُشْغُوفًا دَائِمًا بِإِمْدَانِهَا

إلى من يحبّ ا ...

عنتره : « مبتسما ، أرجح أنه يؤثر ذلك ليضمن بقاء
محبوبته في كنفه ... »

عبلة : « وإذا كانت محبوبته مقيمة على عهده ، وفيه لودّة ،
فما حاجته إلى الفيود ؟ ... »

عنتره : « ... ألا تروك الدّراعات ؟ ... لقد جئت بأشكال
بديمة منها ... »

عبلة : « إنني لأؤثر عليها قصان البدو ... »

عنتره : « وهو يتفحص ثيابها بنظراته ، ماذا تلبسين ؟ ... »
« لاحظ أنها متلفعة بجلد الضرغام . . . »

عبلة : « إنك لترى ما ألبس ... »

عنتره : « جلد ضرغام ... »

عبلة : « كلا . . . إنه جلد الضرغام يا عنتره . . . »
« ألا تذكر موقعته ؟ ... »

عنتره : « أذكر ذا ... لقد كانت إحدى معاشات الصبا ! ... »

عبلة : « كادت معاشات الصبا هذه تورّدك موارد الهلكة ... »

عنتره : يا للسذاجة ! ... أية هلكة يا عبلة ؟ ... إن صراع
الضرغام ليعد مداعبة إذا قيس بصراع الجحافل في
ساحة الوغى '... ! د يحد بصره في جلد الضرغام ، ...
أراك مازلت متعلقة بجلد ضرغامك هذا على الرغم
بما لحقه من تغير ...

عبلة : إني لممن يتعلقن بأذيال الماضي ، ويحفظن
العهد ، حتى يسقط المتاع ! ... ربما كان ذلك
فيما ترى سذاجة وقصصاً نظراً ... د تتفحص جلد
الضرغام ملياً ، ... أنت على حق ... لقد أدركه
البلي ... فما يحمل بثلى أن تلبسه ... سألتني به !
د تخلع عن كتفها جلد الضرغام وترى به أمام
الحباء ، : ... ذكرتنى أمراً ، لم أسألك كيف
كان صديعك بقلب الضرغام بعد أن أصبت منه
سمّة تلاً ؟ ...

عنتره : عجيبٌ أمرك يا عبلة ... تسأليني عن أشياء لا أعي
منها قليلاً أو كثيراً ! ...

عبلة : قيل لي إنك أخذت قلبه منك تذكّاراً لهذه
المروحة . . .

عنبرة : « مبتسماً وقد عقد يديه إلى صدره » أحقا أخذتُ
قلب الضّرغام معي ؟ ... لو كنتُ فملت لكان قد
أصابه العطّاب ! ...

عبلة : جوّ فارس مُقلّبٌ لا يساعد على حفظ قلوب
الضراغمة ! ...

عنبرة : قد يكون ذلك ...

عبلة : ما أضعف هذا القلب الذي لا يقوى على
تقلّب الجوّ ! ...

عنبرة : ليس لضعف القلب شأن ، إنما هي مُسنة الكون :
تغير وتبدّل بين عشية وصباح ! ...

عبلة : يخيل لي أن هذه السُنّة لم تنزُ بعدُ صحراءنا الجافة ،
حيث تظل القلوبُ فيها على حال واحد ، لا يدركها
الوَهْنُ وإن طال المدى ! ...

عنبرة : ما زلتِ تذكّرين الصحراء كأنها قلبُ الدنيا

الحناف . . . أنت تعيشين يا صغيرتى فى هذه
البقعة معصوبة العينين لا تبصرين شيئاً من حقائق
الحياة.. لو تخطيت حدود مكانك لاسفرت لك الدنيا
عن عوالم رحبة زاخرة بشقى الطرائف والأعاجيب!
عبلة : « وقد أسبلت جفنيها متحسرة » ما حاجتى إلى هذه
العوالم إذا فقدت قلبى ، وأضعت وجدانى ا ... إلى
لاوثر على هذا أن أقضى عمرى لا أسمع ولا أبصر ا.
عنتره : لغو أطفال ا ...

« يظهر عظمطم فى ضجة ، وهو يحمل
صندوقاً ، وحوله هند ونجماء ودعجاء ...
يضع عظمطم الصندوق جانباً ، فتبدأ
الفتيات فى تقليب ما فيه وتعرف محتوياته ،
إلا عبلة ، فانها تزم مكانها لا تريبه ، فيلاحظ
عنتره ذلك منها »

عنتره : ألا يروقك شيء مما ترين ؟ ... عندى طرائف
غير ما فى هذا الصندوق ...
عبلة : لقد أخبرتُك بطيائرتى ا ...
عنتره : « وقد التفت إلى عظمطم ، إلى بمسألة العقيق.

- ١٤٥ -

المفضضة ا . . .

عظمم : تلك هي معنى . . . لقد قدّرت أنك تطلبها . . . إن بها

طائفة من روائع القلائد ا ...

» يخرج العلة من صدره ، ويقدمها إلى
عنبرة . . . يبحث عنبرة فيها ، ثم يأخذ
منها حجر الزبرجد »

عنبرة : لعلة ، هالك ما تطلبين ا ...

» تأخذ علة من يده الحجر في صمت ،
ونقله في يدها برهة . هند ونجلاء ودعاء
يقان عليها متطلعات . . . تأخذ هند الحجر
من يد علة وتحقق فيه »

هند : أهذا حجر الزبرجد ؟ ...

علة : هو عينه يا صغيرتي ا ...

هند : ليس فيه ما يُغري ا ...

علة : وليس فيه ما يسوغ تجشّم الأهوال في طلبه ا ...

عنبرة : لست من الحماقة بحيث أدع مثل هذا الحجر يكلفني

أيّ عناء ا . . . لقد عهدت إلى أحد موالّ

في الحصول عليه ، فجاءني به من أهون سبيل ...

دعجاء : دوهى تنظر فى الحجر متفحصة ، حقاً إنه حجر
نفيس ! ...

عبلة : إذا كنت فيه رغبة فإني أهبك إياه طيبة
الخاطر ! ...

دعجاء : إنه لك وحدك ... لقد جلبه عنقرة من أجلك
أنت ! ...

نجلاء : دعجاء تنطق بالحق ... حجر الزبرجد ضالَّتكَ
المشودة منذ أمدٍ يا عبلة ، فما لدعجاء أن
تسلبك إياه ! ...

دعجاء : ليس من شيمتى أن أسلب صديقى شيئاً يصبو إليه
قلها ! ...

عبلة : إني فيه زاهدة ، وعن رضا منى أنزل لك عنه ...
هند : ولدعجاء ، أمعجبة أنت به حقاً ؟

دعجاء : لقد قلت إنه حجر نفيس ، وكفى ...

عبلة : لأنها معجبة به أبداً ... ومازالت أقول لى أن أتردد
لحظة فى أن أهيا إياه ...

— ١٤٧ —

عنتره : « لو كنت أعلم أن دعجاء مشوقة إلى هذا الحجر ،
لجلبتُ لها مثله ... »

عبلة : « لعنتره ، أحسب أن دعجاء تُؤثر على هذا
الحجر تلك الخلاخل العسجدية المرصعة بفصوص
اللاؤلؤ ... هبها خلائلا ... »

« تتضاحك وهي تتلاعب بالحجر في يدها »

دعجاء : « ماذا تقصدين يا عبلة ؟ ... »

عبلة : « لا أقصد شيئاً ... »

عظمطم : « أقسم برب الكعبة إنى لم أفهم شيئاً مما قلتن ... »

عبلة : « إن من الله حُسن الكبرى على المرء ألا يفهم ! ... »

« نسمع ضجة صادرة من بعيد . . . »

عنتره : « ماذا ؟ ... » « لعظمطم ، امضِ فاستطلع الأمر ... »

« لا يكاد عظمطم يتهاى للانصراف حتى »

« يرى حازم مقبلاً يهرول . . . »

عنتره : « ما وراءك يا حازم ؟ ... »

حازم : « فى شيء من الذعر ، الأمير عمارة قدِمَ اللحظة »

ثُراً مُحْتَقاً ...

عبلة : « وقد قفزت إلى حازم ، والنسيان العُصفورية ... »

حازم : « إن فضاء الصحراء ليضيقُ بها ... »

« عبلة يبدو عليها الابتهاج . . . »

حازم يقول لعنترة : « »

إن الأمير عُمارة يامولاي لا يؤمّن له جانب ،

فلتكن منه على حذر ! ...

عنترة : « وقد أدركه بعض الضيق ، ولكنه يتمالك ويتكلف .

الضحك ، الأمير ضيف ، فقيم الحذر ؟ ... »

« يظهر الأمير عُمارة بفتة على رأس الرَبوة ... »

« فيقف وففة المنجدى شاهراً سيفه ... »

عظمطم : الأمير عُمارة الكِندي ...

« الجمع يتطلع إليه »

عنترة : « صائحاً ، مرحباً بالضيف الكريم ... »

« الأمير عُمارة ينب من الصخرة ، ويخطو

بضع خطوات ، ثم يقف مرفوع القامة شاهخ

الأنف ، مصوباً إلى عنترة نظرات بيضة ... »

« عنترة يتابع قوله : »

تقدم إليها الأمير .. إن عنترَةَ لي رَحْبٌ بِمَقْدَمِكَ !

• الأمير يسير بخطا وثيدة تمر عن اعتداد

بالنفس وكبرياء »

عمارة : « لعنترَةَ ، أتذكر يا عنترَةَ ما قلتُهُ في آخر لقاء

بيننا ؟ ... لقد قلتُ لك إننا سنلتقِ يوماً ... »

عنترَةَ : « متكلفاً إلا بتسام ، وقد التقينا ... »

عمارة : « أعلَّ حرب ؟ ... »

عنترَةَ : « بل على سلام ووثام ... »

عبلة : « وقد تقدمت من الأمير تحية بالغة ، أهلاً

بالأمير عمارة ... كنا نرتقبُ أوبتك ... إن

أرجاء البيداء لتتجاوبُ بهدير النياق ... »

عمارة : « إنها ألف لا ينفصمها واحدة ... »

عبلة : « عوفيتَ أيها الأمير ... »

عمارة : « لعنترَةَ ، وحجر الزبرجد ؟ ... »

عنترَةَ : « لقد زهدتُ فيه عبلة ... »

عمارة : « يبدو لي ... »

عبلة : « لعنّرة ، يسرّني أن اعلمك الخبر ... خطبني
الأمير عمار ، وقد رضيتُه لي بعلا ...

عنّرة : « ينظر إليها برهة نظرة تفحص ، ثم يقول في تباطؤ ،
ما أجلّ أن يجتمع الحسب العظيم والفتنة النادرة ! ...
أهشك ! ...

عمار : يبدو لي ...
عنّرة : « مقاطعاً وهو يربّت كتفه ، يبدو لك أنه ليس ثمة
بيننا ما يعثّر على الضخينة ...

عمار : « وهو يهزّ يد عنّرة ، ما أعزّني بصداقتك ! ...
عنّرة : « وهو يهزّ يد الأمير عمار ، ما أكرم صاحبك ! ...
هند : « كأنها تحدث نفسها ، شيء لا يطاق ... » لعظم
احمل لنا الصندوق إلى الحساء ... لا أستطيع أن
أنتق منه شيئاً هنا ...

عطّطم : رأى هائب ... هيا ...

« يطلب إلى حازم أن يحمل الصندوق ،

فيحمله ويمضى به ومع عطّطم . . . »

- ١٥١ -

هند : « دلعجاء ونجلاء ، ما ووقوفك هكذا ؟ ... ألا ترافقاني
لنتخير التحف ؟ ... »

نجلاء : لعل دلعجاء تؤثر أن تبسقي ، ألا ترين الطريق إلى
عنبرة قد تمهد ؟ ... »

دلعجاء : « في أنفة » شد ما تخطئين إذ تحسبيني من هذا
الصنف ... لقد قلت لك غير مرة إن دلعجاء تعاف
أن تشرب ثمالة الكأس من أحد ا ... هيا لتخير
التحف .. »

« تنصرف دلعجاء ونجلاء ، ثم هند
بالانصراف فتسلبها عبلة وتلتحي بها
ناحية »

عبلة : « ولهند ، سأرغب إليك في شيء ... فهل تجيدينني إليه
دون أن تسأليني إيضاحاً ؟ ... »

هند : لك مني ما تشائين ا ... »

عبلة : أرغب في أن تطلبي الفتى « سيفاً » ... زامر الحى ... »

هند : إنه مني عن كتب يحوس خلال الخيام ... »

— ١٥٢ —

عبلة : إذن ... اسمي يا هند ... عي ما أقول ...

« تسر إليها حديثاً . الأمير عمارة
وعنترة في مكانهما يتضحكان ويتنادران »

أفهمت يا هند ؟ ...

هند : فهمتُ يا عبلة ...

عبلة : أجزلى عطاءه ...

هند : أفعلُ ...

عبلة : عوفيت يا أختاه ! ...

« تصرف هند »

عنترة : « لعبلة ، أحسب أن النياقَ التي جلبها معه

الأمير عمارة إنما ساقها لك مهراً ...

عبلة : أصبتُ ... إنها لآلف كاملة ... ألف من النياق

الضفورية النادرة ...

عمارة : ومن أكرمها عنصراً ! ...

عنترة : لستُ في ذلك برتاب ... كم لبثت في سبيل جمعها ؟ ...

عبلة : ستة أشهر ...

- عنتره : أليس هذا بكثير ؟ ...
- عبلة : إنه أقلّ من عامين اثنين كما ترى ... ١
- « فترة صمت »
- عنتره : « للأمير عمارة ، ومن أيّ الأصقاع لمت شتاتها ؟ ... »
- عمارة : من أسواق كثيرة ... لقد طوّفت في بلاد عدّة ...
- عنتره : لمّ اسمُ تقصيد خُسروان ؟ ...
- عمارة : أوفىها هذه النياق ؟ ...
- عنتره : تَخَصُّسُ بها الأسواق ...
- عبلة : كحجر الزبرجد ... ١
- عنتره : قلتِ حقاً ... « للأمير عمارة ، لو كنتِ أعلمُ حاجتكِ إلى هذه النياق لجلبتُ لك منها ما تريد ... »
- عبلة : « لعنتره ، ولكنني طلبتها منه ... »
- عنتره : هذا حق ... « للأمير عمارة ، إنني لأرجو أن تصلّني بالأمير أو أصرُّ مودّة لا يشوبُ صفاءها كدر ... »
- عمارة : إنني لك أدباً صَفِيسٌ وفى ...
- عنتره : لقد ساءنى ما شجّرَ بيننا من خلاف مُقِيلٍ ارتحالٍ

إلى فارس ا ...

عمارة : إن حفاوتك بي وحسن لقائك إياي اليوم قد محوا ما سلف ...

عنبرة : لقد كنتُ فظاً جافى الطابع ... ا

عمارة : ولكنك اليوم تقطر ظرفاً وتسيل رقة ... ا

عبلة : لشدة ما تغير ... إن دواء فارس قد بدل كثيراً من شمائله ...

عنبرة : « لعبلة » ودواء الصحراء ؟ ... ألا يكون له أثر في تغيير الشمائل وتبديل الطباع ؟ ...

عبلة : لا يقل شأناً عن دواء فارس في هذا الأمر ...

عمارة : « لعبلة وعنبرة » ألا تذهب لنشهد النياق العصفورية في مُناخها ؟ ... « لعنبرة » إنك بها لخبير ...

عنبرة : سأغيب عنكما ريثما أبدل ثيابي ...

عمارة : « لعبلة » هيا قبل أن يرشى الظلام سدوله ...

عبلة : امض بنا ...

■ ينصرف الأمير عمارة ومعه عبلة ■

يشيعهما عنترة بنخاراته ، ثم يعتلى صخرة
 فيجلس عليها ... تتوافد طلائح الليل ...
 يرنو عنترة إلى السماء مرتقباً طلوع
 القمر . . . يلوح القمر زاهياً وعنترة
 ما برح شاخص البصر ... يبدو الفتى سيف ،
 ويقف عن كئيب من عنترة منزوا عنه تخفيه
 الظلال ... ثم لا يلبث أن يشدو ... »

سيف : « منشدأ ، أنتِ للعين ضياء أنتِ للروح دواء
 أنتِ يا عبلة أنس نفسي وادي وهناء »

« يتسمع عنترة وهو ناظر إلى القمر كأنه
 في حلم ، يقف بفتنة وقت تملكه الغضب ...
 يتأفك حواله »

عنترة : « صائحا ، من هنا ؟ ... »

« يقع بصره على سيف ... يدنو منه ،
 ويمسك به ، محذوا فيه »

من ؟ ... من ؟ ...

سيف : « في مسكنته وتذلل ، أنا سيف ... خادلك ...
 سيف يا مولاي ... »

عنتره : أما زلتَ حيًّا أيها الكلبُ الشريد ؟ ... ما أتى بك هنا ؟ ...

سيف : جئتُ أناجى نفسى بأشودةٍ فى ضوء القمر ...
عنتره : أبقيصيدى تناجى نفسك أيها الوغد ؟ ... كيف استبحتَ لنفسك أن تتغنى بشعرى ؟ ...

سيف : الخلقُ كلهم يَتَخَنُّونَ بشعرك ، ويتذاكرون أخبارك ! ...

عنتره : حتى الصعاليك من أمثالك ؟ ... !

سيف : أصعلوك أنا يا مولاي ؟ ...

عنتره : انظر إلى هيئتك ...

سيف : اخلعْ علىَّ مُطَرَفًا من مطارفك الفارسية تجملُ هيئتي ويعمل مقامى ! ...

عنتره : أمسكْ عليك هذرك ... قلتُ لى لا أحبُّ أن يلوكَ الصعاليكُ قصيدى ... أفأفهم أنت ؟ ...

سيف : لى لك مطيع يا مولاي ...

« عنتره يذمُّه . . . يبدو عظيم . . . »

عظمم : أنت هنا يا مولاي والجمع هنالك ينتظر قدومك ؟ ...

عنزة : ما بدلت ثيابي بعد ...

عظمم : وما منعك أن تبدلي ثيابك ؟ ...

عنزة : متضايقا ، ثرتك وغاوتك ! ...

« يلتفت إلى الفتى سيف ، ما برحت هنا ؟ ...

اغترب عن وجهي ...

« يهرع الفتى سيف متثراً . . . »

عظمم : « وهو يتابع الفتى سيفاً بنظره ، من ؟ ...

عنزة : كلب من كلاب الحي ، اقتحم على خلوتي ، ليقلق

راحتي يا شاده ...

عظمم : ماذا كان يُشيد ؟ ...

عنزة : نشيدي لأملة ... عبت من عبث الصبا الغابر ...

عظمم : بل إنه لأروع ما نظمت ...

عنزة : أُنسمسي هذا شعراً ؟ ... ما أسقم ذوقك ! ...

عظمم : أنذكر يا مولاي أنك صُنفت هذا الشيد وقلبك

بالحب مُفعم ؟ ...

— ١٥٨ —

عنتره : « متضاحكا ، أى حُبِّ يا عظمم ؟ ... كنت

غريراً لا أفنقه كُشَّةَ الحياة ...

عظمم : لقد كان حُبُّك عميقاً ، ولقد كان يلهمك بدائع

القصيد ا ...

عنتره : كان ذلك في غابر الزمان ... عهد تقصّنى ا ...

عظمم : ولكن الشعر باقٍ لا يفنى ... إنه منقوش على

صفحة قلبي ...

عنتره : اقنصِدْ في ذكره على لسانك ...

عظمم : لم ؟ ...

عنتره : لقد خطبَ الأميرُ عمارَةَ عبلةَ ، ومودّنى للأمير

مَصُونَةَ لا أريدُ أن تُجرحَ ... فلتنسَ هذا

الشعرَ القديمَ الذى عَنَى عليه الزمن ا ...

عظمم : بالضبيحةِ ما وعاهُ صدرك يا عظمم ا ...

عنتره : لماذا ؟ ...

عظمم : ماذا تركتَ لعظمم أن يرويه عنك ؟ ...

إن قصيدك كلُّه في عبلة ا ...

عنتره : وشعري في غيد فارس وصبايا الروم والترك؟ ...

عظمم : ان يَبُوحَ لساني بشيء مما قلتَه فيهنَّ ...

أَوْحَسَيْتَ أَنَّكَ قُلْتَ فِيهِنَّ شِعْراً ؟ ...

عنتره : أَحْظَرْتُ عَلَيْكَ إِنْشَادَ شِعْرِ قَلْتُهُ فِي عِبلَةٍ ...

عظمم : حَسْبِي أَنْ أُسَدِّلَ عَلَى اسْتَارِ الْخِيَاءِ ، فَأَنْشِدَهُ

لَنُغْنِيَا ...

عنتره : إِنَّكَ لَشَيْخٌ غَضْبِي ...

عظمم : دَوِّهُ إِلَى الْقَمَرِ نَاطِرٌ ، تَمَلَّ هَذَا الضِّيَاءَ الْبَاهِرَ

فَإِنْ غَضِبَكَ لَا شَكَّ يَنْجُو ... يَا لَجَمَالِ الْقَمَرِ

فِي أَفْقِ هَذِهِ الْبِيدَاءِ ...

عنتره : دَوِّدْ رَفَعَ إِلَى الْقَمَرِ بَصْرَهُ ، إِنْ الْقَمَرَ لَجَمِيلٌ

فِي كُلِّ أَفْقٍ ...

عظمم : إِنْ لَهُ لِسِحْرٌ لَا يَفْدِيهِ سِحْرٌ ، وَهُوَ يُطِلُّ عَلَى

هَذِهِ الْمَحَرَّمَاتِ الرَّحِيَّةِ ذَاتِ الْبَسَاطِ الْعَسْجَدِيَّةِ ،

وَقَدْ نَشَرَ فِيهَا الصَّمْتَ لَوَاءَهُ ...

عنتره : أَلَا يَفْتَنُكَ قَرُّ فَارِسٍ ؟ ...

— ١٦٠ —

عظمى : إني بقرم اليداء لأشـدُّ كلفاً ... انظر إليه
ألا تراه يـرِفُ بابتسامة الوضّاحة ، ويرنو
بعينه الساحرتين ؟ ...

« يأخذ بيد عترة ويسايره »

يخيل إلى أن شَفَتَيْهِ الزاهيتين تترنمان بأعذب
النغم ! ...

« يعضان في سريهما مفادين المكان ... »

ألا تصانح أذنك وسنوسته ؟ ... يالروعة الألحان
ينشدها هذا الملكُ البهيّ ...

« يبدو الفتى سيف وهو يسير المويى »

« في محاذرة متقنيا »

سيف : « ينشد » :

أنتِ يا عبلة أنسٌ	لفؤادى وهناء
حينما ترضين عني	يلا القلب الرجاء
فإذا الدنيا نعيمٌ	وإذا الكون صفاء
وإذا بي في حبور	وابتهاج وازدهاء

الفصل الرابع

المنظر الأول

« الوقت : عشية ... أمام خباء عبلة...
عبلة ودعجاء ونجلاء جالسات يتزلن... على
مقربة منهن هند وقد تملكها ضيق... يقين
على حالهن فترة »

هند : الغزل والصمت ... دائماً الغزل والصمت ا...
دعجاء : وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ ...
هند : أن تتحدثن ... أن تتجادلن ... أن تتنازعن ا...
إني لأفضّل أن أراكُنّ وقد تضاربتن وتماسكتن
على أن أراكُنّ تجلسن لا تنبسن ، وإن كنتن
على صفاء ا...
نجلاء : أتكرهين أن يحلّ الوئام بين عبلة ودعجاء محلّ
الخصام ؟...
هند : وددت ألا يدوم هذا الوئام ...

— ١٦٢ —

عبله : ألا يحق لنا أن نهذا ونَقِسرَ بعد أن طالَ بنا عهد
الشَّحْناء ؟ ...

هند : مضتْ عشرونَ يوماً وأنتنَّ في خمولٍ ... منذ
قديمٍ عنتره لم يَنْشَسْبْ يَنْكَا نِزاع ... كان يقيني
أن سَيِّدَ الفوارس سيءُودُ إلينا حاملاً معه بذرة
التنافس والشَّقاق ...

دعجاء : فكان أن عاد إلينا حاملاً بذرة السلام ، ناشراً بيننا
لواء الوئام ...

نجلاء : وحسناً قبل ... إنه أعلنَ منذ قدومه أنه قد
نَفَضَ يديه من مُشْونِ الغرام ، فلم يُمْدُ للتنافس
بيننا سبيل ...

عبله : وقد نفَضْنا نحن منه أيدينا ، قبل أن يَنْفُضَ
يديه ...

نجلاء : ليس في هذا ما يَضِيرُنا أو يَضِيره ... إن عنتره
يُكِنُّ لنا أصفى مودة وأصدق إغواء ...
لقد أنحفنا بفراخ الهدايا .. إنه وإيهم الحقُّ الفارس

— ١٦٣ —

مَهْذَبُ النَفْسِ كَرِيمِ الْخِصَالِ ...

عَبْلَةٌ : وَمَا رَأَيْتُكَ فِي الْأَمِيرِ عِمَارَةَ ؟ ...

دَعَاءٌ : لَا يَقْلُ عَنْ عُنْتَرَةٍ صَفَاءَ سِرِيرَةٍ وَنَقَاءَ نَفْسٍ وَشَجَاعَةً

قَلْبٍ ...

عَبْلَةٌ : بَلْ يَفُوقُهُ ! ...

دَعَاءٌ : أَلَا نَزَهَ خُطْبُكَ تَحَاوِلِينَ أَنْ تُغْنِدَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَزَايَا

فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ ؟ ...

عَبْلَةٌ : إِنْ الْأَمِيرِ عِمَارَةَ سَيِّدٍ هَذِهِ الْبَادِيَةِ غَيْرَ مُنَازَعٍ ! ...

دَعَاءٌ : مَا أَعْجَبَ أَنْ تَفَاضَلَ بَيْنَ عُنْتَرَةٍ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ عِمَارَةَ ! ...

عَبْلَةٌ : لَا تَهَادَى يَا دَعَاءُ فِي التَّعَدُّحِ بِعُنْتَرَةٍ ، فَتُثِيرِي حَوْلَكَ

غُبَارَ الظُّنُونِ ...

دَعَاءٌ : أَيُّهَا ظُنُونُ أَتُثِيرِ غُبَارَهَا ؟ ...

عَبْلَةٌ : لَقَدْ دَفَنْتِ حَبْلَكَ فِي الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرْتَهُ لِعُنْتَرَةٍ ...

فَلَا تَنْشُئُ سِرَى رُقَاتِ الْمَوْتِ ...

دَعَاءٌ : وَحَبْلُكَ إِيَّاهُ ... مَاذَا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ ؟ ... يَخِيلُ إِلَيَّ أَنَّهُ

مَا بَرِحَ يُهْضِمُ نَارَهُ بَيْنَ جِوَانِحِكَ فَيَأْكُلُهَا ! ...

- نجلاء : أئمة مشاحنة تبتدأ أنها ؟ ...
- هند : « مبتهجة ، دعيهما ... دعيهما ...
- عبلة : ليس ثمة من مشاحنة ... إنما هي معاينة أختين ...
- أليس كذلك يا دعجاء ؟ ...
- دعجاء : الأمر كما تقولين يا عبلة ...
- عبلة : و لدعجاء ، أريد أن أجول لك بعض ما قد يغشمهم عنك ... أنا لم أحبب عنترة ، ولكنه هو الذى أحببني ...
- دعجاء : ربما كان قد أحببك ... أحبك فى زمن مضى ...
- عبلة : لقد جلب لي معه حجر الزبرجد ...
- دعجاء : تزعمين أنه ما قىء بك هيمان ؟ ...
- هند : ولم لا يكون كذلك ؟ ...
- عبلة : لقد تجشمت في الحصول على حجر الزبرجد جسم المصاعب ...
- دعجاء : قصارى الأمر أنه وعدك بإحضاره لك ، وما كان له أن يخلف الوعد ...

نجلاء : ألم تقل إنه فارس مذهب النفس كريم الخصال ؟ ...

عبلة : يُحسِّن اختيار الهدايا لصوابه ...

دعجاء : ليس حجر الزرجد بأثمن مما خصَّنا به ...

عبلة : « دعجاء ، ضاحكة ، أصبت ... ولذلك قدفنتُ به

في الخباء ، فلم أعره جانب اهتمام ... أما هديته لك :

تلك القلادة والقرط والخلائع ، فإنك تتحاسن بها

على الدوام ... ما أشدَّ اعتزازك بهديته ... !

نجلاء : اعتزاز صديقة وفيّة لا ترضى لنفسها إنكار الجليل ...

عبلة : ولكن دعجاء تحصر على أن تبدو في هذه الحلي أمام

عنتره ، اجتذاباً لناظره ... !

دعجاء : أنا التي تحاول اجتذاب ناظره ؟ ... ألا تَسْرَيْنِ إلى

نفسك وقد اتخذتِ على جبينك هذه العصاة التي

لا تستبدلين بها غيرها ؟ ...

عبلة : إنها من سَقَطَ المتاع ...

دعجاء : بل إنها هديته إليك مُقيَّل ارتحاله ... ولطالما كانت

حبيّةً إليه ، ولطالما كان حريصاً على أن تتعصَّبَ بها

- ١٦٦ -

حين تَلَقَّيْنِيَّهٗ ، فَاكُنْتَ تَابِينَ اتِّخَاذَهَا تَمَنُّاً
ودلّالا ... أما اليوم يا عبلة ، فإنك ...

عبلة : « وقد نزعْتَ العصاةَ عن رَأْسِهَا ، ... أما اليومَ
يادِجْءَ فَإِنِّي أَنْزِلُ عَنْهَا لَكَ ، إِذَا طَمَحَتْ إِلَيْهَا
عَيْنُكَ ! ...

« تَمُدُّ يَدَهَا بِالْعَصَاةِ إِلَى دِجْءٍ ، لَدَلَّكَ فِيهَا أَرْبَا ...
إِنَّ عِبْلَةَ لَا تَنْصِبُ هَذِهِ الْأَحَابِيلَ الرِّخِصَةَ
لصَيِّدِ الْقُلُوبِ ! ...

دِجْءٌ : أُنْسِيكَ عَلَيْكَ عَصَايَكَ ... إِنِّي لَا أَحِقُّ الرِّجَالَ
وهم عني مُعْرِضُونَ ...

عبلة : ماذا تريدِينَ بقولك هذا يادِجْءَ ؟ ...
نِجْلَاءُ : يَا لَهِ مِنْ هَذِهِ الْمَاهِرَةِ ! ... هَلَا كَفَفْتُمَا عَنْ
هَذَا النَّزَاعِ ؟ ...

هند : وَدِدْتُ أَنْ يَفْجَأَنَا عَنْتَرَةٌ الْآنَ لِيرَى وَيَسْمَعَ
مَا يَدُورُ فِي شَأْنِهِ ! ...

نِجْلَاءُ : أَلَا قُلْدَعُ حَدِيثَ عَنْتَرَةٍ ، وَلَنَحْنُ هَذَا الشُّقَاقُ ...

— ١٦٧ —

عبلة : « وقد تماكنت ، لا شِقاءَ ... إنما هو تجاذب
كلام ! ... أليس كذلك يا دجاء ؟ ... »

« تقول ذلك غير ناظرة إليها »

دجاء : الأمر كما تقولين يا عبلة ...

« تقول ذلك غير ناظرة إليها أيضا . . . »

نجلاء : يسعدني أن أراك تتصافيان ...

دجاء : « وقد أخذت مغز لها وجلست جلستها الأولى وشرعت

تغزل » إن الصفاء يملأ قلوبنا دائماً ...

عبلة : « وقد بدأت هي الأخرى تغزل ، لم نكن في وقت ما

أصغى قلوباً مما نحن الآن ... »

« نجلاء تقبل كذلك على مغزها . . . »

فنرة صمت لا حركة فيها إلا حركة الغزل ...

« هند ترنو إليهن »

هند : « مغنمة ، ما أشقى البادية ب تلك المغازل . . . »

آه ، لو كان في طوق أن أحطمها لما أبقيت

منها شيئاً ! ... »

« الصمت ينتاج »

إن تلك المغازل تجلب لي دُواراً ...

« تصيح ، دراراً تضيق به على الأرض ! ...

نجلاء : « تقف مغز لها ، تقول لهند ، لقد أراحك الله من

مغزى ... لم يبق لدى من صوف أغزله ! ...

هند : أحمد الله على هذا ...

« لدعجاء ، وأنتِ ، أَلَمَّا يَنْتَه الصوف الذى

معك ؟ ...

دعجاء : « تقف مغز لها ، قارب أن ينتهى ...

« تنهض نجلاء »

نجلاء : « لدعجاء ، ألا تصحح بيدينى لآتى بصوف

جديد ؟ ...

دعجاء : حباً وكرامة ...

نجلاء : « لعلبة ، ألا تمضين معنا ؟ ...

علبة : « وهى على مغز لها عاكفة ، ما زال الصوف بين

يدى غير قليل ... ولكنى بكأ لاحقة عمّا قريب ! ...

نجله : لا تبطلنى عنا ...

عبلة : لن أبطل ...

« تنصرف دهباء ونجله ، عبلة تسوى

العصابة على جبينهما كما كانت من قبل ... »

هند : « مبتسمة ، لعبلة ، إنه يحوز بهذا المكان قبيل

الظهرة كل يوم ... !

عبلة : « متباهرة ، أليس هذا طريقه إلى مضرب خيامه ؟ ...

هند : إن الطريق شتى ...

عبلة : « مبتسمة ، إنه يسلك أيسر الطرق .. لا يريد أن

يسلك على الطرق الصغيرة ، خشية أن يقول الناس

إنه يتجنب هذا الطريق السلوك ، فراراً من عبلة ...

هند : أو قد شرع يفكر حقاً فى الفرار منك ؟ ...

« عبلة لا تجيب ... فترة صمت ... ثم تقول هند : »

ولكن أسائل نفسى : لماذا تعرضين لفترة مبغية

تصيده ، وأنت للأمير معامرة مخطوبة ، وزواجك

منه وشيك ؟ ...

— ١٧٠ —

- عبلة : متضحكة ، بروق عبلة أن تلهو ...
- هند : أيهما تؤثرين : عنقرة أم الأمير ؟ ...
- عبلة : أنا لا أؤثرُ أحداً ... كلاهما إلى يسرى ... ١
- هند : ومن منهما تزوجين ؟ ...
- عبلة : الأمير عمارة ...
- هند : أنت لا تُكِنين له حباً ...
- عبلة : كثيراً ما زفَّت الفتاةُ إلى من لا يهفو فؤادها إليه ...
- هند : يا قلبك القاسى العنيد ... ما أجبُّ لك أن تلهي بقلوب الرجال ... وما يستحقّ منك عنقرة هذا الجزاء ...
- عبلة : ألم يلهُ بنا ياهند ؟ ... أما رأيت كبرياءه وتعالىه علينا وهو يتشدّق بأنباء فارس وأحاديث بلاد الروم ؟ ...
- ألم يعلم أنه أصبح سيد قلبه ، وأن غرامه الأول لم يكن إلا ضلالةً صحا قلبه عنها ١٢ ...
- هند : وما أنتِ حاضرة ؟ ...

— ١٧١ —

- عبله : لست بصانعة شيئاً ...
- هند : عجياً ...
- عبله : قالت لك إن عبلة يروقها أن تلمو ...
- هند : والفتى سيف ، ما خطبه ؟ ...
- عبله : ألم ترأيه ؟ ... إنه دائم الاختلاف إلى عنقثة ...
- هند : ينشد الأناشيد الرقاق ...
- عبله : أناشيدى التى يتغنى فيها عنقثة بحبي ويشيد بمقاتنى ...
- إني أتبين سيفاً قادماً . . . ليتك تحدث بشئ
- طيب ا... « يقدم الفتى سيف » : تعال يا سيف ...
- أحسنّت بحضورك الآن صنماً ...
- سيف : مولاتى ...
- عبله : هل من جديد ؟ ... قل لى : أيا نس عنقثة بأناشيدك
- أم ما فتىء صادفاً عنها ؟ ...
- سيف : إنه لسينتـهـرنى تارة ويغضى تارة أخرى ا ...
- عبله : لا أريد منك أن تلاحقه ...
- سيف : لاني ألاحقه ، ولكنى أتوخى أوثقات صفوه ...

— ١٧٢ —

عجلة : « لهند ، القمرُ يا هند في اكتمالِ تالقهِ ... وشدَّ ما
يُحَلِّو التَّنَزُّهُ فِي فَيْشِضِهِ الْبَسْمِيَّ ! ... »

صيف : إنها لأمسيَّاتٌ رائعةٌ تتَّارُجُ بأنفاسِ
الآزاهير ...

عجلة : « لسيف ، والبَّخور الذي أعطيتُكَ إياه ؟ ... »
صيف : كلِّها وانتَني الفرَّصُ تسَلَّتْ إلى خيمته في مُجَنِّحِ
الليل ، فَلَأتُ المِجَامِرَ بهذا البَّخور ...
عجلة : حسناً ...

« تخرج من مدرها صرة فتناوله
أياماً »

صيف : شكراً مولاتي ... بقيتِ لبَقِيَّتِ عطايَاك ! ...
عجلة : والآن أنتَ وشأنُك ...

« ينصرف سيف وهو ينحني تحية لها ... »
هند : وما سرُّ هذا البَّخور ؟ ...

عجلة : إنه تخليطٌ من أعوادِ ذَكِّيَّةِ الرائحة لا يعلم
سرُّها سواي . . . كنتُ أطلقُ هذا البَّخور حين

كان عنترَةُ يلقاني في الجباء ... فكان به شديد
الشَّخَف ! ...

هند : أنظفَّينَ أنه يأبه له اليوم ؟ ...

عبلة : اعلى يا هندُ أن الأَطْيَابَ خصائصَ عجبية ...

إنها لتغلغلُ في شِهابِ القلوب وتبلغ أعماق
السرائر ، فتبعث من مرآقدها غابرَ الذِّكْرِيَّاتِ ،
وتلهب ما خمدَ من كامنِ العواطف ... كل ذلك
في لطف وعذوبة ولين ... إنها لتفعل فعل
السحر ... ذكَّرتني ... ألا تُحضرين لي آنية
الطَّيب من الجباء ؟ ...

هند : آنيةَ آنية ؟ ...

عبلة : الآنية النحاسية ...

هند : طيبك القديم الذي هجرته زمناً ... أراك تعودين

إليه ! ...

عبلة : إنه طيبُ عنترَةَ المفضلُ لديه ...

« تحضر هند آنية الطيب فتأخذ عبلة في التطيب به »

— ١٧٤ —

هند : « في دعاية ، ألا تدعيني أتطيب بطيبك
هذا ؟ ... »

عبلة : لن يتطيب بطيب عبلة أحد سواها ...

« يسمع خفق أقدام ... تلفت هند »

هند : إنه لقادم ... سادعك له ...

« تخفى هند ... يبدو عنتره ... يلح »

عبلة يباب خبيثها ، فيتدان إليها . . . »

عنتره : نعيم مساؤك يا عبلة ...

عبلة : نعيم مساؤك يا عنتره ...

عنتره : حسن أن يكون خباؤك على طريق ، فأسعد باجتلاء
طلعتك ! ...

عبلة : أشكرك لك ا . . . وما حاجتك إلى اجتلاء
طلعتي ؟ ...

عنتره : إن طلعتك لتفسح نفسي بالهجة والإيناس ...

عبلة : إنك لتجيد في طاعة غيري من صبايا القبيلة أو من
جواريك بنات فارس ما يبهجك ويؤنسك ا ...

عنبرة : « مبتسما ، لِطَلَّةِ مَتِكَ يا عبلةُ ضياءُ لا يباريه
ضياءُ ! ...

عبلة : إن عبلةَ تحفظُ ضياءَها لمنْ خطبها ... الأمير
عُمارة ! ...

عنبرة : « مبتسما ، ذلك في عِلْسِي ... ولكن ألا يَشْمُ المرءُ
عِطْرَ الزهر في بُسْتَانٍ جارِهِ ؟ ... الحُسْنُ
كالعِطْرِ ، كلاهما مُبَايَحٌ لمن يَشْمُ ومن يتطَلَّعُ ... !
« يستنشِقُ النسيمَ حول عبلة ، ما أذكى الطَّيِّبَ الذي
يَنْفَحُ مِنْكَ ! ... إنه عِطْرُكَ القديم ...

عبلة : لم أَسْتَبْدِلْ به غيرَه ! ... هو طيبي المفضل ...
عنبرة : وهذه الدِّصَابَةُ ... ما أَبْدَعَهَا ... لم تَفْقِدْ بهاءَها ...
ولن تَفْقِدَها ! ...

عبلة : إنها عَصَا بَتِّي التي أَتَّخِذُهَا كُلَّ يَوْمٍ ... يَرُوقُنِي
لونها ! ...

عنبرة : إِنَّكَ لِحَفِيفِيَّةٌ بِنِيتِكَ ...

عبلة : شَأْنِي دَائِمًا ...

- عنتره : المرأة لا تنزيّن إلا للرجل ...
- عبلة : لى خاطب علىّ أن أحثّ فسطّ بقلبه ...
- عنتره : وهل تخشّنين على قلبه أن يشترّد إذا لم تُؤمّليهن
بهذا السّياج ؟ ...
- عبلة : وهل يؤمن للرجّال جانب ؟ ...
- عنتره : « مداعباً ، وهل سبق أن شرّد منك قلب ؟ ...
- عبلة : إن قلباً تملكه عبلة لا يستطيع عنها فكاً ...
- عنتره : أنت بنفسك شديدة الزّهو ...
- عبلة : ألا ترانى بهذا الزّهو خليقة ؟ ...
- عنتره : أراك على الدّوام سا-جرة ...
- عبلة : « ضاحكة ، نحن إذن على وفاق ا ...
- عنتره : أتهوين خاطبك ؟ ...
- عبلة : المخطوبة تهوى خاطبها ...
- عنتره : ما أيسر أن تهوى المخطوبة من تحبها ... ولكن
هل لهذا الهوى من دوام ؟ ...
- عبلة : الوفاء فى الحب من شيم النساء ... أما الرجّال ...

عنبرة : حقاً إنَّ قلب الرجل "قلب" ... ولكن له في ذلك
عذره ، إنه ليُسكِرُ قلبه في سبيل المجد ... أما
المرأة فمجدُّها الذي تهديف إليه هو القلب تحت
راية الحب ...

عبلة : وما أشقانا بهذه القلوب ! ... بل ما أسعدنا بها ! ...
إننا نستمرى السعادة من سعيير هذا الشقاء ...
عنبرة : لكم تغيرت نظراتي في الحياة والحب ...
عبلة : الحبُّ الأصيلُ ليس بالثوب الذي يخلع بين
آن وآن ! ...

عنبرة : أبيني ...
عبلة : إنه جذوةٌ دائمة التوقد ، لا تخبسو إلّا ريثما
توهج ...

« تقبل عليه ، وترنو إليه . . . »

عنبرة : ما أجملَ عينيكِ اليوم يا عبلة ...
عبلة : هما عيناى دائماً ... هما هما ...
عنبرة : وهذا الكحل ... ما أفتنه ! ...

- عبلة : إنه كحلي الذي أتكحَّل به منذ نشأتني ...
- عنبرة : عَجَباً لي ، كيف أبيعَ انْفِسي التَّطَلُّعَ إلى مفاتنك مستمتعاً ، وأنت لخيرى ؟ ... إنه امتهانٌ للصداقة التي بيني وبين الأمير عمارة ... على حين أتى أقدُرُهُ وأكْبِرُهُ ! ...
- عبلة : ألم تقل إن للبرء أن يَشَمَّ عِطْرَ الزهر في بُسْمَتَانٍ جاريه ؟ ...
- عنبرة : ولكن المرء طموحٌ زَّاعٍ ، قد لا يَقْنَعُ بِالشَّمِّ ، فتشْرِهَ نفسه إلى القُطْفِ والامْتلاك ... !
- عبلة : لقد كانت الزهرة منك دانيةً المنال ، فتركت غيرك يَسْبِقُكَ إلى اقْتِطافها ... !
- « يليه عنبرة بنظره في الفضاء برهة ...
 فترة صمت »
- عنبرة : هي الأقدارُ يا عبلة ! أقرِّ لكِ بأن صفحتي هي الخاسرة !
- عبلة : « في سهوم » وقد تكون الراجح ... لا تعجَّل بالحسكُم ! ...

عنتره : إنه ليتعذّرُ على المرمِ أن يفرقَ أحياناً بين الفَوْزِ
والإخفاق... ليس بهيّن أن نهيّهما بمعالمٍ واضحة...
ما أراه إخفاقاً قد يعدّه سِراى فوزاً دميئناً ...
عبلة : سَلْ قلبك يُنبئُك بالخبرِ اليقين ! ...
عنتره : وعقلي ... ألا أستمعُ فيه ؟ ...

« يبدو عظمم على الربوة »

عظمم : مولاي عنتره ...
عنتره : ما بالك ؟ ...
عظمم : شيوخُ القبيلة ينتظرون لقاءك ...
عنتره : أنه إليهم أني قادم الساعة ...
عظمم : السمع والطاعة ...

« ينصرف »

عبلة : « لعنتره ، إنهم ينتظرونك للتشاور في أمر بني
فهمد ... لقد اشتدّت بهم الرغبة في قتال تلك القبيلة
الشَّخُوب ...

عنتره : ولم لم يقاتلوا في مخيبي ؟ ...

عبلة : هم يعلمون أن أمر بني فهد لا يحسن الفصل فيه
إلا عنزة ... في مقدورك وحدك أن تخضع
شوكتهم وتردّ جماهم ...
عنزة : ألم يعرف لهم أن يستنصروا بالأمير عمارة ١٩ ...
أليس هو أشجع أهل البادية ؟ ...

• أصحت عبلة قلباً ... ومي إليه
رائية منفضة ه

عبلة : الأمير عمارة وإن كان أشجع أهل البادية مبعث
غريباً عن قبيلتنا ، فما يحمل بأبي أن يستنصر به
على عدوه ١ ...

عنزة : ولكن أبك لا يستكشف أن يزوجه ابنته ١ ...
لم يجد الأمير عمارة غريباً ، وقد صار للقبيلة
صهراً ١٩ ...

عبلة : ألا تأنف أن يزعم الأمير عمارة على رجال القبيلة
دونك ؟ ...

عنزة : لا أنف كرامة لك وإعزازاً له ... إن الأمير

فارسٍ صَديد ، وسأُمدّه بالمشورةِ ، وأكون له
طياراً ، ما استطدتُ إلى ذلك سبيلاً ...

عجلة : أخشى عليك يا عنزة أن يَسْتَلْبِكَ الأمير
معمارة زعامة الجيش ، بعد أن سَلَبَكَ إمارة
القلب ا ...

عنزة : أو قادرٌ هو حقّاً على أن يَسْتَلْبِ الإمارات
استلاباً ؟ ... إني لأراه يَنَالُهَا مَنَحاً لا غلاباً ا ...

عجلة : ما تعدّه أنت منحة يعدّه هو حقاً يستطع أن يملكه
بدهائه تارة وبسطوته تارةً أخرى ...

« بعد هنيئة ، ألا تراك قد أبطأتَ عن مجلس
القييلة ؟ ...

عنزة : لم أقضِ وقتي معك عبثاً يا عجلة ... طابَ ليلك ا ...
عجلة : طابَ ليلك ا ...

« يأخذ يديها ويوقف قبالتها لحظة يتوسمها
ويتوسمها ... يتركها بفتة ، وينصرف خثيث
الخطا »

المنتظر الثاني

« الوقت مساء . . . داخل خيمة عنزة
الأنيقة . . . الترف الفارسي يتجلى في أروع
مظاهره . . . عنزة وعظمم على وئيد
الوسائد . . . بين يديهما مائدة الشراب »

عظمم : وغزوة بني فهد ؟ ...

عنزة : فرغنا من أمرها ، وأجتمعتنا الرأي فيها ...
تقاسمنا أسلابها ...

عظمم : عجبتُ لكم تقاسمون الأسلاب ، وأنتم في دياركم
قابضون ! ...

عنزة : أويخالجك الرئب في غلبة عنزة على تلك
الشراذم ؟ ...

عظمم : لا يخالجنى أى رئب ، ولكن لا تنسَ يامولاي أنه
قد أصبح لتلك الشراذم شأن يُعَدُّ ... إنها لتبسُط
سلطانها على قبائل الجنوب ، وقد تفرّدت بشجاعة
نادرة ، فهاها الناسُ وخشوا ما لها من بَطْش ...

عنتره : لم يكن لهذه القبيلة ذكرٌ قبل رحيل إلى فارس...
 إن صغار الثعالب لتسطل من أجحارها وترفع من
 هاماتها إذا أنست غيبة الأسد... ولكني سأشعرهم
 أن الأسد قد عاد إلى عرينه... وسترى كيف يكون
 مصيرهم على يدي...!

عظمطم : دوه ويجرع كأسه ، ستنظرهم الحية والمنعة حتما...
 عنتره : إني لأسائل نفسي كيف استنام أشياخ القبيلة لتلك
 الشراذم ، حتى تفاقم أمرها ، واستفحل شرها...
 عظمطم : ماذا ترجو من زمرة كسالي لا يجمعهم رأي ،
 ولا يلم شتاتهم ساعدٌ ممكن ؟ ...

عنتره : وأين الأميرُ عمارة الكندي ؟ ...
 عظمطم : إنه رجلٌ أميلُ إلى السلم ، يريد أن يحيا حياة دعة
 وطئاً نبنة يستمرى الرفاهية في ظل ثروته الطائلة...
 عنتره : دوهو يضحك ملء فيه ، أو تزعم بالسان السوء أن
 الأمير عمارة ليس بحرب ولا لقتال ؟ ...
 عظمطم : من كانت له ثروة الأمير خشي عليها ويلات

--- ١٨٤ ---

الحروب ... يقولون إنه رجلٌ داهية ١ ... بكياسته
وحيلته يكسبُ المعارك دون أن يشنَّ غارةً
أو يفقد رجلاً ...

عنتره : دوهو يضحك والكأس إلى فمه ، أكرم به من أمير
داهية ١ ...

عظمم : ولكن كان خليفاً به أن يتقدّم إلى القبيلة في هذا
الوقت ، ليشُدَّ أزرها فيما هي سُقبلته عليه من
غزو بني فهد ...

عنتره : لا أرضى أن يشدَّ أزرى أحد ، وبذلك صارحتُ
الجميع ...

« يجرع عنتره من كأسه ... يصمت برهة »

لندع أميرنا عمارة يتقلَّب في أعطاف نعيمه ...

عظمم : حسناً نصنع ، فإنه يزفاه مشغول ...

عنتره : ماذا يفعل ؟ ...

عظمم : يبدؤ العدة لأعظم عرس شهدته البادية ١ ...

ستحضر ذلك العرس بلارب ...

عنتره : حبيبى إلى أن أشهد عرس الأمير ، ولكن لست
أدرى أمستطيع أنا ذلك مع انهم ما كى فى أمر
الغزو ؟ ...

عظمم : ألا تؤجل هذه الغزوة إلى ما بعد حفل الزفاف ؟ ...
عنتره : ولم لا يؤجل الأمير حفل زفافه إلى ما بعد الغزوة ؟
عظمم : سيان هذا وذاك ... تتفق على أى الأمرين ...
عنتره : سأعطين لغزوتى اليوم الذى أراه ملائماً لى ...
عظمم : ألا تستطيع أن توفق بين الأمرين إكراما لعبلة ؟ ...
عنتره : وقد صب الكأس فى فيه ، يصيح ، أظن أنى
أعبث بمهمتى العليا من أجل غانة من غيد الحى ؟ ...
ما أجدهلك بشئون الحرب يا عظمم ! ... إن للحرب
لمطالب لازم على أن اضطلع بها لا ألوى على شىء .
عظمم : د مغنما ، الحرب ... الحرب ... لن نستريح منها
أبد الدبر ...

عنتره : تريدنى كالأمير عمارة أركن إلى الدعة ، مستمرناً
حياة الرفاهية ...

عظمم : عفواً مولاي ... ولكن على المحارب أن يهادن نفسه

بين حين وحين ، للاستجمام والتشريفه ...

عنتره : لقد طالت بنا المهادة يا عظمم في ركود هذه

الييـداء ...

عظمم : ما كدنا نتذوق طعم الراحة حتى مُسِينا بخبر

بني فهد ... ألا سُحقاً لفهد وأبناء فهد ! ...

عظمم : لن يطمئنينك لك جنبٌ هادمت في صُحبتى ... !

لتعلم أني برمتُ بحياة اليداء وأهل اليداء ... لقد

أزمنتُ عنها رحيلاً ... كَشَفْتُ الرُّحَالَ إلى

فارس عما قليل ...

عظمم : ألم تضربُ لذلك وعداً ؟ ...

عنتره : حينَ نَسْفُضُ أيدينا من أمر بني فهد ... فنحُد

أهبتك لذلك يا راويتي العظيم ! ...

عظمم : دعنا الليلة من حديث فارس وشؤون الحرب ...

ولننعم بمجلسنا هذا بين الكاس والطاس ...

» يقبلان على الشراب ... بعد لحظة يدخل

سيف متسلا في حذر وفي يده بجرة
فيضعها في زاوية من الحبة ويلقي فيها بعض
الأعواد ، فيسطم البخور... وينصرف سيف
عجلا دون أن يشعر به عنبرة وعظم .

ألا بربك أرهف سمعك لهذا السكون الشامل
وارتشف أفوايقه ، ثم ازم بطرفك في الفضاء
الرحب يكسوه القمر بلآلئه البهيج ... أحرام
أن نشتم لحظة هذه المتعة ؟

عنبرة : « وهو يستنشق البخور ، ما هذه الشاعرية الفياضة
يا عظمم ؟... قل لي : أحب حقاً هذه البيداء ؟...
عظمم : أشعر في هذه اللحظة بأنني أعبدها ! ...

« يب من كأسه »

عنبرة : « وهو يطيل استنشاق البخور منثشياً ، وقد جلس
جلسة استرخاء ، وجهل يشرب » صفها لي يا حشاجة
العرب ! ...

عظمم : البيداء يا مولاي فردوس الكسالى ... !

عنقرة : « متضاحكا » ما أبدعَ ماقلت أيها الحكيم المحبول ...

ولهذا تريدني على أن أقضى في اليبداء أيامى كسلان

قاعدا ... ما أطيب هذا البخور ! ... منذ أيام أرى

المجامر تتوهج بهذه الأعواد الذكيّة ...

عظمم : بخور طيب أميل ... إن أرديل ليحسن تأليف

الأعواد العسيرة ...

عنقرة : « وهو مخذل إلى الراحة فاطر الجليلة » ليس هذا من

صنع أرديل ... لا يحسن تأليف هذا البخور

إلا عربى من أعرق أهل البادية ! ...

عظمم : لعله ابن حبناء ...

عنقرة : لعله ... « وهو يتمطى » إن هذا البخور ليكمل

في تضاعيفه صوراً مجبّنة ... ذكريات عزيزة ...

لأنه يُسلمنى إلى نشوة لذينة ! ...

عظمم : ألا أدعو لك بجواريك الفارسيّات ، تقضى معهن

رقت منادمة وصفو وموانسة ؟ ...

عنقرة : افعل ما بدا لك ...

— ١٨٩ —

« لا يكاد ينفض عظمى حتى يرددها »

عنتره

لا حاجة لى بجوارى فارس ... يا لله من رائحة هذا
البخورا ... ديمض عينيه، يكاد الناس يملك عيني ...
إنه كالضباب الرقيق أحسسه يغشاني بغلائله ... لاني
لاستبين فى غصون هذا الضباب أطيافاً لطافاً تنهادى ،
يستطير منها عطر الصحراء ...

عظمى : لمن تكون هذه الأطياف ؟ ...

عنتره : « وهو مسبل الجفنين ، عذارى البدو الملاح ...

عظمى : أكرم من حسناً فائنات ! ...

عنتره : لتصفن لى هاتيك العذارى يعطه عظمى ! ...

عظمى : لقد سبقتنى إلى وصفهن عليم ... عذارى البادية ...

كظباها ! ...

عنتره : هذا حق ...

عظمى : ألا أسميك فى ذلك قول شاعر ؟ ...

عنتره : أنشدنى ربك ما قاله شاعرك ...

- ١٩٠ -

عظم : أَشْبَهْتِ هَذَا الظَّيَّ حَسَنَ مَلاحَةٍ
 حتى نَحْيِرَ كُلِّ وَصْفٍ فِيكَ
 لَكَ جِيدُهُ وَلِحَاطُهُ وَنِفَارُهُ
 وَغَدًا تَكُونُ قُرُونُهُ لَائِكَ !
 عنتره : دَ يَنْتَبِهْ مِنْ غَفْوَتِهِ ، وَيَضْحِكُ بِالضَّحْكَ ، مَا أَظْرَفَ
 مَا أَشَدَّتْ يَا لِسَانَ السُّوءِ ! ... إِيَّاهُ يَا عَظْمُ ...
 عظم : مَاذَا أَتَشْدُكَ ؟ ... إِنْ مَحْفُوظِي مِنْ شَعْرٍ
 غَيْرِكَ لَقَلِيلٌ ! ...
 عنتره : إِذَنْ فَأَتَشْدُقِي مِنْ شَعْرِي ! ...
 عظم : مَاذَا تَخْتَارُ أَنْ أَتَشْدُكَ ؟ ... أَمِنْ شَعْرِكَ فِي
 الْمَفَاخِرَةِ وَالْمَنَافَرَةِ ؟ ...
 عنتره : قُلْتُ ، مَا أَغْنِيَاكَ ! ...
 عظم : أَأَتَشْدُكَ مِنْ شَعْرِكَ الْحَمَاسِيِّ مَا قُلْتُ فِي وَصْفِ مَوْتَعَةٍ
 أَرَجَانِ ؟ ... أَلَا تَذْكُرُ قَوْلَكَ :
 فَوَيْلَ لِكُسْرِي إِنْ حَمَلْتُ بِأَرْضِهِ
 وَوَيْلَ لَجَيْشِ الْفَرَسِ حِينَ أُجْمَعُ

— ١٩١ —

عنتره : أبعد عنا عجبجتك ، لا أبعد الله غيرك ا
عظمم : سَأَسْمِعُكَ إِذْنِ خَرِيدَتِكَ الرَّائِعَةِ الَّتِي فِيهَا نَقُولُ :
أَحْنُ إِلَى ضَرْبِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

و

عنتره : «مقاطعاً» قسماً لئن لم تلتقه عن ذلك الهدر لأذيقنك
ضَرْبَ تِلْكَ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ ... أَنَشِدْ غَزْلاً ...
غَزْلاً أَيُّهَا الْآخِيقُ ...

عظمم : أَنْتَ يَا مَوْلَايَ حَرَمْتَ عَلَيَّ إِشَادَ الْغَزْلِ فِي حَضْرَتِكَ ا ...
عنتره : « من راحياً في جلسته » سَأَنَشِدُكَ أَنَا يَا عَظْمَمُ ا

عظمم : أَنَشِدُنِي غَزْلاً يَا مَوْلَايَ ؟ ...
عنتره : غَزْلاً فِي ظَبَاءِ الْبَادِيَةِ ... أُرْعِنِي سَمْعَكَ ...

عظمم : أَجْدِيدُ مَا نَقُولُ يَا مَوْلَايَ ؟ ...
عنتره : إِنْ الْمَعَانِي لَتَحَوُّمٌ فِي خِيَالِي كَالطَّيْرِ الْهَائِمَةِ ، وَإِنِّي
لَسَلَّمْتُ إِلَيْكَ السَّاعَةَ مَصْنَعَةَ طَبِيعَةٍ ... ا

عظمم : قُلْ لَا تُفْضِ فَوْكَ ، فَإِنِّي إِلَى جَدِيدِ شَعْرِكَ شَيْقُ ،
وإِنْ عَهْدِي بِهِ لَبَعِيدُ ...

— ١٩٢ —

عنتره : « ينشد في قمر المرتجل » :

من نعمة الأعطاف مهنمة الحما

ممنمة الأطراف مائة القدا

عظمم : « منتشيا ، يردد ، مائة القدا ...

عنتره : « متابعا ، يبيت قنات المسك تحت لثامها

فيزداد من أنفاسها أرجُ النَّد ...

عظمم : « يردد ، أرج النَّد ...

عنتره : « متابعا ، ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها

فيغشاها ليل من دجلى شعرها الجعد

وبين ثناياها إذا ما تبسمت

مدير مدام يمزج الراح بالشهد

عظمم : « يردد ، يمزج الراح بالشهد ...

عنتره : « أتصرع كأسى يا عظمم ...

عظمم : « وهو يقدم له الكأس ، يهتفك زدننى يامولاي ...

« عنتره وعظمم يشربان ... ينشئ الصمت

بحسبها برهة ... يتراخيان في جلستهما ،

يسمع النقي سيف وهو ينشد : ... »

— ١٩٣ —

سيف : « في الخارج ، ينشد ، :

أنا لا يهدأ شوقي في بعاد أو لقاء
طيفك المحبوب شغلي في صباح أو مساء
أنت يا عبلة أنس لسؤادي وهناء

عنتره : « يرفع رأسه مصغياً ، لمن الصوت ؟ ...

عظم : الفقى سيف ...

عنتره : « مغمماً ، مافقء يترنم بشعري ، وقد نهيته عن

إنشاده ! ...

عظم : إن شعرك لم يعد ملكاً لك ... إنه حق مباح لكل

راغب فيه ...

عنتره : ماذا تقول ؟ ...

عظم : أمستطيع أنت أن تمنع الناس الاستمتاع بنور

الشمس ؟ ...

« يتضحك عنتره منفضة عيناه ... بماود

الفقى سيف غناء »

سيف : « في الخارج ، طيفك المحبوب شغلي

في صباح أو مساء

— ١٩٤ —

حينما تَرْضَيْنَ عني يملأ القلبَ الرجاءُ
فإذا الكونُ نعيمٌ وإذا الدنيا صفاءُ

عنتره : عظمم ! ...

عظمم : مولاي ! ...

عنتره : إن لهذا الفقى صوتاً حنوناً ...

عظمم : « وهو يكرع من كأسه ، كأنه هديلُ الحمام ، إذا
هاجّه الشَّوقُ والهيام ...

عنتره : أنزعْ كأسى ... أتزع ! ...

« يملأ عظمم لعنتره كأسه ، يشرب

عنتره ثم يستلقى على حشبة »

سيف « يغنى في الخارج ، منك يا عبلة عزمي فابعثي في المصائد

وصليتي في دُنُوِّ إن في الوصل شفاء

واذكريني في بعادي إن في الذكرى وفاة

الفصل الخامس

المنظر الأول

« الوقت أصيل ... أمام خيمة عنجرة ... »

عنجرة واقف يشهد سيفه ... هند قائمة ... »

عنجرة : « وقد لمح هنداً ، من أين يا هند ؟ وإلى أين ؟ ... »

هند : فيم سؤالك ؟ ... »

عنجرة : « وهو مقبل على سيفه يشحذه ، قليل من فضول ... ! »

هند : سؤال الفضولي لا جواب له عندي ... ! »

عنجرة : « وقد رفع رأسه مبتسماً ، فإن كان سؤال صديق ؟ ... »

هند : لهذا حكم آخر ، ولكي لا أستطيع الكلام ... »

عنجرة : « وهو يداعب خدها بيده ، إذن أنت في طريقك إلى »

زيارة عاطفية ، تقتضي حيلة ومساورة ... ! »

هند : ربما كان حقاً ما تقول ... أعنيور أنت ؟ ... »

عنجرة : لهذا سألت ... أجيبي ... من أين ؟ وإلى أين ؟ ... »

هند : لن أحير جواباً ... »

« تهم بتابعة سيرها »

عنتره : « وهو يعترض طريقها ، الامر جدُّ إذن ... هناك حبيب ا ... »

هند : دعنى ...

عنتره : لن أدعك قبل أن تفضى إلى برك ا ...

هند : نخل سبيل ...

عنتره : لن تفلى من يدي ا ...

هند : ثم ماذا يا عنتره ؟ ...

عنتره : لا تضيق نفساً بى ...

هند : « وقد عقدت يديها على صدرها وصمتت برهة ، قلت لك ثم ماذا يا عنتره ؟ ... »

عنتره : لا سر بين عنتره وصغيرته هند ا ...

هند : إن إفشائى لهذا السر يثير غضب علة ...

عنتره : « وقد حدق فيها بهتاناً » ما شأن علة بهذا ؟ ...

هند : إنه ليس بسر ا ...

عنتره : « وقد أمسك يدها بغتة » ماذا تحنين ؟ ... أهنا لك ...

— ١٩٧ —

رجلٌ ينتظر قدومَ عبلة؟ ...

هند : أطلقْ يدي ...

عنتره : « وقد شد على يدها ، أراكِ لا تجيبين ! ...

هند : قلت لك أطلقْ يدي ...

عنتره : « وقد تطاير من عينيه الشرر ، يا هند ... أنتِ على

شفا هوةٍ تعبثين ... صارِ حيني ... ما وراكِ؟ ...

هند : ماذا بينك وبين عبلة حتى يبلغ بكِ الاهتياجُ هذا

المبلغ؟ ...

عنتره : « وقد تمالك ، إن هو إلا عرض من أعراض القبيلة

على أن أذودَ عنه ... أن أحيمه ! ...

هند : أفكانت نفسك تهتاجُ هذا الاهتياجَ لو كان

المرضِ عرضَ هند أو عرضَ دجاء ١٩ ...

عنتره : « وهو يحاول كظم غيظه ، نعم ، الأعراضُ عندي

سواء ...

هند : طب نفساً يا عنتره ... ليس في الأمر حبيب ! ... هي

حفلةٌ تُزمعُ عبلةٌ أن تقيمها الليلة ...

— ١٩٨ —

- عنتره : أيةَ حفلة تعنين ؟ ... ولم الخفاء إذن ؟ ...
- هند : أرادت عبلة أن تقصيرَ حفلتها على الصبايا من صويجباتها ... حفلة للصبايا وحدثهنّ ...
- عنتره : « وقد أشرق وجهه ، للصبايا وحدثهنّ ؟ » ...
- هند : لن يشهدا من الرجال أحد ... أفهمتَ الآن لم الحسيطة والتخفي ؟
- عنتره : ولكن لماذا قصرتُ عبلة على صويجباتها للعداري هذه الحفلة ؟ ...
- هند : لكي تنهى لنفسها وصويجباتها مجلسَ متعة وإيناس ، يلهينَ ويمسرحنَ ، ويرقصنَ ويغنينَ ، لا يحتشمنَ من أحد ، ولا يابهنَ لأحد ، ولا يخشينَ عيونَ الرقباء من الرجال ! ...
- عنتره : « وقد بدأ من عينيه وميض وهّاج ، وأين تكون هذه الحفلة ؟ ...
- هند : الحق أنك قد تجاوزتَ الحدّ ...
- « تنظر إليه ملياً »

— ١٩٩ —

- عنزة : إنه مجرد سؤال لست أبغى من ورائه شيئاً ... لن أعكر
عليك صفوة حفلتك ... أين تكون الحفلة ؟ ...
- هند : « هامة ، على غدير ذات الإصاـد ...
- عنزة : ما أطيّسه مكاناً ... « بعد لحظات قصيرة ، وإذا
وقع ما ليس في حسابنا ، وهبط عليك رجل ،
فاذا أنتن فاعلات ؟ ...
- هند : نظارده في عنف وشدة حتى نخل المكان منه ...
- عنزة : وإذا كان هذا الضيف من الأصدقاء الخـص ؟ ...
- هند : « تحديق فيه وقنا وتبتسم ، ثم تقبل عليه مداعبة ،
قسماً إنك لتحديثك نفسك بالقـدوم ... !
- عنزة : أو تظنّين ذلك ؟ ...
- هند : « ضاحكة ، بل أوكّده ...
- عنزة : ما أنت صانعة إذن ؟ ...
- هند : « بعد فترة صمت ، أنت لي صديق ، ولك عندي
مكانة ... فإذا أصررت ...
- عنزة : « مبتسمة ، لست مصرّاً كل الإصرار ...

— ٢٠٠ —

هند : لابد من تدبير حيلة ... تفكر هنية ... حسناً ا ...

» تقبل عليه ونسر إليه أسراً ، ثم تقول

صوت مسموع

ماذا ترى في ذلك ؟ ...

عنبرة : ما ألمح ذكاءك ا ... هذه بُخَيَّتِي ا ...

هند : سترى كل شيء ، ولن يراك أحد ...

عنبرة : بورك فيك يا هند ...

هند : إنه سر بيننا ... بيني وبينك أنت وحدك ... فكن

على حذر ، حتى لا يفتضح الأمر ...

عنبرة : اطمئن يا صديقتي الوفيّة ... اطمئن ... سأهدي

إليك صندوقاً مرصعاً بلؤلؤ البحريّن ...

هند : فقط ا ؟ ...

عنبرة : ماذا تبغين غير هذا ؟ ... أجيبي ا ...

هند : لن يهدأ بالي حتى . . . حتى أنتم سيب كنوزك ،

وأتى عليها ، أيها الساحر الهندي ا ...

» يتفاحكان

المنتظر الثاني

« غدير ذات الإصا د الوقت مساء ...
اليوم نفسه . . القمر يغير البقعة بضياته
الفضى . تقبل أم هرم وحازم وبعض التابعات
يلقون ببعض المشايا ويضعون قدور
الطعام »

أم هرم : « لحازم ، قلت لك لا تحضر ، فلم تسمع لقولى ...
إن الرجال لا يؤذن لهم أن يشهدوا هذه الحفلة ...
حازم : عجيب أمرك ... وهذه القدور ، أينسكن من تستطيع
حملها ؟ ...
أم هرم : نشكر لك على أيتري حال ، ولكن يجب أن ترجع
أدراجك ...
حازم : سأفعل . . . ديرتب بعض الأشياء ، وماذا تقصد
عبلة بكل هذا ؟ ...
أم هرم : إنها حفلة صغيرة تريد أن تقيمها لصيوت نجساتها

— ٢٠٢ —

احتفاءً بِخِطْبَتِهَا لِلْأَمِير ...

حازم : ومتى يحين يرم الزواج ؟ ...

أم هرم : لم يُبْتَ في شأنه بعد ... ولكنه وشيك ...

«تسمع أصوات» لقد حضرن ... اذهب ... اختف ...

« تدفعه فيخرج » تسللاً ... بعد لحظة تدخل

عبلة وهند ودهجاء ونجلاء وبعض فتيات

الحى مرحلات يتصاحكن يصجبن الفى سيف »

عبلة : « للجمع ، شكرآ لكن » يا صديقاتى ... أرجو أن

أحقق لكن في هذا الاجتماع الصنير لطائف

المتع ... إنها حفلتنا ... حفلة الصبايا الطرروبات ...

نريد أن نحيا لحظات هادئات منعمات ، لا ترونا

أنظار الرجال العطشى ... أطلقن أنفسكن على

سجيتها ... لا تشغنين شيئاً ... لن يقرب المكان رجل ...

ما أحسن أن تلتقى الفتيات بعيداً عن الرجال ...

« سيف يسعل ويشعر الحاضرات بوجوده »

تتجه إليه العيون

نجلاء : « وهى ناظرة إلى سيف » يا لكعجب ... كيف

— ٢٠٣ —

- لم تنتبهن لوجوده ... كيف ترتكب هذا الخطأ ؟ ..
 ألم اشترط ألا يحضر بجاسننا إلا النساء ؟ ...
 هند : ليس ثمة من خطيا ...
 دعباء : إنه ... إنه بعيدٌ عن جنس الرجال ...
 هند : « واقفة في خيلاء أمام سيف ، وقد وضعت يديها في
 خصرها ، أتقبل أن تكون من جنس النساء ؟ ...
 سيف : « ينقل بصره هنيهة بين الفتيات وبين قدور الطعام ،
 ثم يحك رأسه بأصبعه ، حقا ... لا أدري ...
 عبلة : اطمن ... لست برجل ...
 دعباء : وليس بفتاة ...
 سيف : يالكنسكية ... إذن ماذا أكون ؟ ...
 هند : أنت فتاةٌ ستقلب شابا بعد حوّل ...
 سيف : آه ... لا ... لا ... لست فتاة ...
 نجلاء : أترفض أن تكون فتاة ؟ ...
 سيف : كلا ، إنما الواقع هو ...

« يتم حديثه مع نجلاء ودعباء بصوت
 خافت ... عبلة تلتحى بهند جانبا . . . »

— ٢٠٤ —

- عيلة : ، لهند ، منفردة بها ، أيحضر ؟ ...
- هند : نعم ، سيحضر ا ...
- عيلة : لم تذكرى له أننى «اللة» بحضوره ...
- هند : اتحسين هنداً من البلاهة بحيث تقعُ في مثل هذا ؟ ...
- عيلة : وأين يكون مخبؤه ؟ ...
- هند : تشير بيدها في الخفاء ، خلفَ هذه الظلّة ...
- عيلة : أياكون قد أوهمك بأنه سيحضر ، ولن يفعل ؟ ...
- هند : سيأتى حتماً ... وستريّن ... آه لو أبصرت به وقد
أفقدت عيناه بلهسب الغَسيرة ، حين ظنّ أنك
على موعد مع رجل ...
- عيلة : أنتِ واهمة ...
- دعجاء : فيم نتسارّان ؟ ...
- عيلة : كنا نتحدّث في مشكلة سيف ...
- نجلاء : لقد أقرّ بأنه فتاة ، وانتهى الامر ...
- هند : د لسيف ، أزجى إليك تهنّتى الخالصة يا صديقتى
الحبيبة ا ...

- ٢٠٥ -

- سيف : كيف هذا ... كيف ؟ ...
- نجلاء : « وهى تشير إلى القُدور ، لا عسّ مافى هذه القُدور
إلا الإناثُ ...
- سيف : فلا كنْ مؤنثاً ... على بركة الله ... هائئوا الطعام .
- « يذهب بنفسه ويرفع أغطية القُدور
ويتأمل ما - موت »
- ما أشهى هذا الثريدَ ! ... وهذا المَجِيعُ ما أطيبه ! ...
وهذا القَدِيدُ ما أعظمه ! ... يا لله ! ... أَجِئْتَنِ أيضاً
بِالْوَدَجِ ؟! ... « يتلذذ طويلاً ، ويمتص لعابه ، طعامٌ
الملك ! ...
- نجلاء : أتحبُّ الفالودَجَ يا سيف ؟ ...
- سيف : أموتُ فِدَاهُ ! ...
- هند : إنه طعامٌ عنترَةٌ المفضَّل ...
- دعاء : وطعامُكِ المفضَّلُ أيضاً ! ...
- عبلة : « لدعاء ، وكيف تجديسه أنتِ ؟ ...
- دعاء : لونٌ غيرُ سائغ ... لا ميزةَ له ...

— ٢٠٦ —

عبلة : إني على رأيك ... نحن أهل البادية لا تشتهي هذه
الألوان الدخيلة علينا ...

سيف : لونٌ سائغ أو غير سائغ ، ألا تَبْدَأُ أَنْ الطَّعام ؟
هند : الطَّعام بعد الغناء والرقص ...

سيف : كيف ؟ ... هذا تعنت ...
نجلاء : لا حيلة لك يا سيف ... الغناء والرقصُ أولاً ...
عبلة : هيّا ... فلنبداً ... غنّ لنا شيئاً يا سيف ...

« سيف يتوسط الحلقة ويبدأ يغني ... »

« هند تنسل تاركة المكان ... »

سيف : « ينشد » أتاني طيفُ عبلة في المنام
عبلة : « تطاع سيفاً ، صمتاً ... صمتاً ... لا أريدُ هذه
الأنشودة ! ... »

سيف : كيف يا سيدتي ؟ ...
« ينظر إلى الجمع مستطعاً رأيهم ... »

نجلاء : ولم يا عبلة ؟ ...
عبلة : ذِكْرِيَات أدركها البسلي ، ولا أرغب في قبشِ
رُفَاتِ الموتى ! ...

— ٢٠٧ —

دعجاء : أنخسَيْنِ على نفسك من هذا الرُّقَات ؟ ...

عبلة : لا أخشى شيئاً على ... بل أخشى على غيرى ...

دعجاء : كيف ؟ ...

عبلة : قد يثير في بعض القلوب رواقد الأشجان ! ...

دعجاء : « تتضاحك في انفعال وتصاحج ، حقاً إنه ليثير أشجاناً

وأشجاناً ... ها ... ها ... غيِّ يا سيفُ غن ...

« سيف يمود القناء »

أتانى طيف عبلة في المنام فقبَّلنى ثلاثاً في اللثام

وودَّ عني فأودَّ عني طريباً أُسْتَره ويُسْهل في عظامي

« نمود هند »

هند : « لعبلة ، جانباً ، لقد حضر ...

« عبلة ت برق ميناها ، وتأخذ في إظهار

مفاتها ، وتبسط شعرها ، وتخلع بعض

ملابسها فتبدو ذراعاها عاريتين . . . »

عبلة : « مهمة ، إن حرَّ الليلة لا يطاق ! ...

« تنثنى وتتبايد في مشيتها وتشير إشارات

— ٢٠٨ —

فيها دل وتيه ، وتمسك بهند وتبدأ الرقص
فتحذو حذوها الفتيات ... بهمن يرقص
وبهمن يصفق ... دجاء ونجلاء في
الصفقات

سيف : « منشدأ » :

أذل لعبلة من فرط وجدى
وأجعلها من الدنيا اهتامي
وأمثل الأوامر والنواهي
وقد ملك الهوى منى زماي
أيا ابنة مالك كيف التسلّي
وعهد هواك من عهد الفطام
لعمرك أليك لا أسلو هواها
ولو طحننت محبتها عظامي

هند : « تتظاهر بالذعر ، صديقاتي ... صويحباتي ...

» الفتيات ينظرن إليها متطلعات ... هند

تشير إلى الظلة

أرى شيئاً يتحرك ... هناك ...

« تنجم الفتيات ، وينظرون إلى الظلة

متخوفات »

سيف : « وهو يرتعد ، إن الظُّلَّة هي التي تتحرك ! ...
 عبلة : أنزعم أنها تتحركُ من مكانها ؟ ...
 نجلاء : شيءٌ يتحركُ فيها ...
 سيف : أياكونُ ثعبانا كبيرا ؟ ... أسمعُ فحجيجا
 هند : أيا فحجيج ؟ ... إني لألحُ خلف القصب عيشين
 متقدتين كالجتر ! ...
 دجاء : لعله أسد ...

« الفتيات يتجمعن ، ويتصاهن فرما . . . »

عبلة : الزمن الصمت ... إن الصياح يهيجُ الأسود ! ...
 « الجمع يصت وهو يحرق ناحية الظلة »
 نجلاء : « في همس ، ألا يتقدمُ أحدٌ ليجلوا لنا الأمر ؟ ...
 هند : « لسيف ، أنت الرجل الوحيدُ بيننا ... ألا تتقدم
 لتدفعَ عنا ؟ ...

سيف : أنا رجل ؟ ... لقد أشهدتكُنَّ على نفسى بآنى فتاة ! ...
 هند : يا للخبين ! ... أما تستحى ؟ ... تقدم ...

— ٢١٠ —

« هند ترجمه »

سيف : الجبنُ أمامَ الأسودِ شرفٌ ومُسؤُودٌ... اتركيني...
« يخاطب الأسد في ضراعة ، كشدتك الله أيها
الضرغام إلا رحمتنا ا... »

« يبدو عنزة فجأة من خلف الظلة
وبقهز إلى الجثم ... يظهر في ملابس البدو
أول مرة بعد عودته من فارس . . . »

عنزة : « صائحا ، كلا... لن أرحمك... سألتهمكن التهاما ا... »

الجمع : عنزة ا... عنزة ا... »

سيف : لم بخطيء ظننا... إنه الضرغام عيشته ا... »

دعاء : إنها لخيانة ... »

فنيات : « يرددن » خيانة ... خيانة ... »

عنزة : ليس ثمة من خيائنة ... أقسم لكن ... »

عبلة : « متناقضة : تقاطعه » من دلتك على مكاننا ؟ ... »

وكيف استبجست لنفسك دخول حرمنا ؟ ... »

عنزة : لم يقل أحد إن غدير ذات الإصا حرم ووقف

— ٢١١ —

على الفتيات ...

عبلة : لقد قلت أنا الليلة ذلك ! ...

عنتره : لا علم لأحد بهذا ...

عبلة : كفى استخفافاً بنا يا عنتره ... إذا كنت تعلم بمكاننا

وأيتَ إلا أن تفتحهم علينا ، فإن ذلك منك جريمة

لا تغتفر ...

عنتره : إن أمرى واضح ... خرجتُ أنزّه في ضوء القمر ،

فقدتُ في قدامى درن قصدي إلى غدير ذات الإصا،

فسمعتُ غناء وطرباً ، فخداني الفضول أن أتقدم

لأعلم ما الخبر ؟ ...

نجلاء : يلوح لي أن عنتره لم يكن سبيّ القصد ...

هند : أما أنا فأراه سبيّ القصد ...

عنتره : وماذا تريد يا هند ؟ ...

هند : نحاكك ...

عنتره : أرضى بذلك ، وسادافع عن نفسي خير دفاع ...

ولكن من يكون قاضي ؟ ...

— ٢١٢ —

دعجاء : « تشير إلى عبلة في شيء من السخريّة ، وهل لدينا

غير عبلة أصاح أن تكون قاضيك ؟ ...

عبلة : سأكون سيّافاً ...

« تخطف بدلال سيف عنقرة ، ثم تقول ، :

أنتَ أسيرى ! ...

هند : لم يكن غير ذلك طوّال حياته ! ...

عبلة : « تلتفت إلى الجمع ، إنه أسيرنا ...

الفتيات : « يتصايحن ، عنقرة أسيرنا ...

« يلتفون حوله »

عبلة : أترضّى أن أكون قاضيك أيضاً ؟ ...

نجلاء : أنكرنين خصبها وحرّكما في وقتٍ معا ؟ ...

عنقرة : « لعبلة ، لا أطمئن إلى قضاء غيرك ...

عبلة : ألا تخشى قسّوتى في الحكم ؟ ...

عنقرة : القسرة منك رحمةٌ وعدلٌ ...

دعجاء : « في سخريّة ، لقد عرفنا الحكمَ ماذا يكون ، وانتهت

القضيّة ! ...

— ٢١٣ —

سيف : نعم ... نعم ... انتهت قضية عنبرة ، ولنبدأ قضية !
القدور ١ ... إن بطوننا تتضور ... هلا
رحمتوها ٢ ... ولنبدأ بالفالوذج ... وليحي
الفالوذج العنبري ... هيا ... هيا ...

نجلاء : هلبوا ، رافة بهذا المسكين ... تشير إلى سيف ،
عيلة : هلبوا ...

« سيف يتقدم مهولا نحو القدور ،
فنقه أم هرم
أم هرم : « لسيف ، قف ... لا تتقدم ... إن تأخذ
إلا ما نعطيك ...

« سيف يتذمر ... يلتف الجمع حول
الطعام ، ويأخذون في الأكل وهم يضجون
ويتصايحون ... عيلة وعنبرة يتركان حلقة
الطعام بعد قليل ، وقد أخذ كلاهما منه
نصيبة في يده ... يسيران على مهل جنباً إلى
جنب ، فاصدين غدبر ذات الإصا . .
عيلة : « وهى تلوك طعامها فى فمها ، ما أحلى هذا الفالوذج ١ .
لم يكذب من سماه طعام الملوك ...

- عنبرة : أنجبينه ؟ ...
- عبلة : « ناخرة إليه بدلال ، إني به مولعة ا ...
- عنبرة : إني لفخـور بذلك ؛ فأنا الذى أدخلت صناعته فى هذه البادية ...
- عبلة : لك أن تفخر بذلك ، فقد غزت به قلوب البدو ...
- عنبرة : وددتُ لو بنير الفالودج غزتُ هذه القلوب ا ...
- عبلة : أراك لا تأكل منه ... ماذا تطعمهم ؟ ...
- عنبرة : « وهو يأكل ، أطمعهم جميعاً ...
- عبلة : طعام غامة العرب ... إنه طعامُ تافه ...

« يصلان إلى الندير ... عبلة تكشف

عن ساقها وتضرب قدسيها فى الماء عابثة »

عنبرة : « وهو يأكل من الجميع ، ولكنى أجده شهيئاً

جداً ا ...

عبلة : عنبرة الفارسيّ يأكل الجميع ويستطيعه ا ... أين هذا

من اللّوز ينج المعطر ، والطبايح الرشراش ؟ ...

عنبرة : إنها المرة الأولى التى أذيقُ فيها الجميع بعد عودتى من

فارس ... وإنى لأجدُّ له مذاقاً يملو على اللوزينج
والطباهاج ...

عبلة : لقد شوَّقَتْنِي إلى أكله ... « يقدم لها عنبرة مجيعة ،
فتشاركه ، « حقاً إنه لذيذ هذه المرة ا... » تنظر إلى ثيابه ،
يلوح لي أنها المرة الأولى التي تستبدلُ فيها بملابسك
الفارسيةِ الثمينةِ ذلك الرداء البدويّ ا... »

عنبرة : « ضاحكاً ينظر إليها ، وإنها المرة الأولى التي أجلس
فيها تلك الجلاسةَ على أديم الأرض ، لانمارق
ولا طنافس ا... » يتحطى ويستنشق الهواء ...
ما أطيب حياةَ البادية ا... »

عبلة : إنها حياتك القديمة التي أضعتها ...
عنبرة : كيف أضعتها ؟ إنها لي ، أستعيدُها في أيِّ وقت
أشاء ا... »

عبلة : تظن أنك قادرٌ على أن تستعيد كلَّ شيء متى شئت ا...
عنبرة : « مبتسماً ، ألسْتُ عاترة ؟ » ...

عبلة : « ضاربةً بقدمها في الماء ، لقد سلبتكَ سيفك من

— ٢١٦ —

يدك ، وسيفك كل شيء لك ، فكيف تستطيع أن
تسترد ما ترغب فيه ؟ ...

عنبرة : بقلبي ...

عبلة : أما زلت ذا قلب ؟ ...

عنبرة : وأين ذهب قلبي ؟ ...

عبلة : إنه يهيم ضللاً في بلاد فارس ...

عنبرة : إني لأحسّه يحتاج بين جوانحي ...

« يد يده إليها يريد أن يمسك يدها ، هاتي يدك ...

عبلة : « متراجعة بدلال ، لماذا ؟ ...

عنبرة : لتعرف في مكانه ، وتبينى محفوقه ا ...

عبلة : ليست بي إلى ذلك حاجة ... إني بمكان قلبك عليمه ا .

• تنثر عليه بكفها ماء مداعبة ... يردد

• قليلا ، ثم يقبل عليها

عنبرة : أتذكرين يوم رششتني بالماء في هذه البقعة نفسها

قبل رحيلي إلى فارس ، حتى ابتل ثوبي كله ؟ ...

عبلة : كان ممبث الصبا ، ولهو الطفولة ...

— ٢١٧ —

- عنزة : ما زلتِ على هذا اللهو والعَبَثِ ا ...
- عبلة : كلاً... لم أَعُدْ عبلةَ الماضى ...
- عنزة : هذا حقّ ، لأنك تتجدّدِين كل يوم ... تتجدّدِين
حُسناً وبهاء ...
- عبلة : يا للْمُدَاهِنِ الماكِرا ...
- عنزة : أُمْدَاهِنْ ماكرٌ أنا حقّاً ؟ ...
- « يقترب منها »
- عبلة : « فى مداعبة ، قلتُ لك لا تقترب منى ...
- عنزة : أرغَبُ فى استردادِ سيفى ا ...
- عبلة : قبل أن أقتَلَكَ ؟ .. هِمَات ا ...
- عنزة : « مقبلاً عليها ، هاتى سيفى ... قلت لك هاتى سيفى ...
- « عبلة تقفز من مكانها ، وتجرى على
الصخرة بجوار التقدير . . . يمدو عنزة
خلفها »
- عبلة : « واقفة حتمية بالصخرة ، أما زلتِ مُعْتَمِزاً أن
تستردّ سيفك ا ؟ ...

— ٢١٨ —

- عنبرة : أنى ذلك شك ؟ ...
- عبلة : إذن جَرَّبْ ...
- تلوح بالسيف في يدها
- عنبرة : عبلة ... لا تلجى بهذا الحسام البائر ... أنشئ
- عليك منه ...
- عبلة : ولم لا تخشى عليه منى ؟ ...
- عنبرة : رُدِّيه إلىَّ بسلام ...
- عبلة : وإذا لم أرده بسلام إليك ؟ ...
- عنبرة : أخذته غصباً ...
- عبلة : أعدك أن أرده إليك ، على شرط واحد ...
- عنبرة : وما هو هذا الشرط أينما الجنيّة ؟ ...
- عبلة : أن أحلِّقَ به لحيتك ...
- عنبرة : لحيتي ؟ ... كما فعلتِ بي في الماضي ؟ ... هيهات ! ...
- ألجم هناك منهمك بأكل ، بيد أن دعجاء
- تأخذ غيبة عنبرة وعبلة ... فتدخل تريد
- كشف مكانهما ، فتحول هتند دون ذلك
- بإباتهما في الحديث والإشارة

— ٢١٩ —

عنتره : « لعلة ، قلت لك تعالى ...
 علة : « ولحيثك ؟ ...
 عنتره : « هاتي السيف يا شيطانة ...
 علة : « أسلمني لحيثك أسلمك سيفك ! ...
 عنتره : « ناظراً إليها فترة وهي تتلاعب بالسيف في دلال »
 قبلتُ ما تريدن ... تعالى ...

« علة تعتل الرولة » وتنها للقفز ...
 عنتره يبسط لها ذراعيه ، فترمي بين
 أحضانها ... يحملها إلى الدوير ... على حين
 يبدأ الفتي سيف يفتي بتجريس من هند »

سيف : « ينشد ، أنتِ العين ضياء أنتِ للروح دواء
 أنتِ يا علة أنس لي نوادي وهناء
 أنا لا يهدأ شوقي في بعادٍ أو لقاء
 طيفك المحبوب شغلي في صباح أب مساء

« علة تفرق عن عنتره ، وترقص بالسيف
 أمامه ، وهو يراقبها في شغف ، ثم لا يلبث
 أن يقبل عليها ويراقصها »

عيف : « يتابع إنشاده » :

حينما تَرْضَيْنَ عني يملأ القلبَ الرجاءُ
فإذا الدِّينَا نعيمٌ وإذا الكون صفاءُ
وإذا بنى في حُجُور وابتهاج وازدهاءُ
منك إقْدامي وعزى فابعثي في المضامِ
وصاليني في دنوئِي إن في الوصل شفاءُ
واذكُريني في مَغِيبِي إن في الذِّكْرَى وفاءُ

« يظهر الأمير عمارة فجأة على الرهوة
الكبيرة ... يسطع ضياء القمر عليه ...
يوقف الجثم من الفناء والرقص . . . »

عمارة : « في لهجة الساخط المغيظ ، بل تابعوا ما كنتم فيه ...
لم أحضر لأعكرَ عليكم صفوَ ليلتكم ... »

« ينزل من الرهوة متمهلاً ، ولا يحيي
عنبرة ... عبلة تنقل بصرها بين الأمير عمارة
وعنبرة ... تتف وقفة الظافر بانتصارها على
أكبر قلدين تضمهما البيداء ... الأمير عمارة
يواسل حديثه في لهجة المهكم »

قلتُ لكم تابعوا الغناء والرقص ...

عبلة : « تتجه نحوه ، أنت في غضبك بحق ... »

عمارة : أغاضبُ أنا ...

عبلة : أنت خاطبي ، وبحق لك أن تغضب ، إذ ترى خاطبتك
براقصها رجلٌ غيرك ...

عمارة : وما دمتِ تدركين ذلك فلم تُقدمين على هذه الفعلة ؟

عنبرة : استُغريباً عن عبلة أيها الأمير ... إن صلة الرحم

ترابطنا ، ونحن من قبيلة واحدة ...

عمارة : ولعنبرة ، أوجّهتُ إليك الكلام ؟ ...

عبلة : « تتقدم من الأمير عمارة ، الحق أني أخطأت ،

ولكنه خطأ بلا قصد ... طلبتُ للرقص ، ففجئتُ

أن أردّه ... أقسم ...

عنبرة : ولم القسم ؟ ...

عمارة : « لعنبرة ، أنزعُهم إذن ... »

عبلة : « وقد أقبلت على الأمير عمارة ، لا يزعم شيئاً ... »

لم يُعدُ بيني وبين عنبرة شيء ... لقد وهبتك أنت

— ٢٢٢ —

قلبي وكفسي ، وإني لا أمسك إلا قلباً واحداً ...

عمارة : عيلة ١٩ ...

عيلة : أميري ، وخاطبي ؛ بل زوجي ...

« تميل على صدره فيحنضنها ... هترة

« فيظا ، ولكنه كاطم غيظه ... هند في

« حيرة ... دعجاء تنفرج في شوق وحاس »

« بعد تردد ، إن وقني لأؤمن من أن أضيّعه في هذا

المكان ... إن غزوة بني قنم قد ناديني ... إن الحرب

مُشغلتني ...

« يتهاى الخروج ، ويشتد إلى الأمير

عمارة قائلا »

أما الحب فإني أدعؤه لك ... فليتنعم به ... طاب ليكم ا

« يخرج مهرولا »

عيلة : والآن إلى الرقص والعناء ...

« تبادل الأمير عمارة نظرات الهيام ...

ترك الأمير وتهرع إلى الجماعة لتنظم حلقة

الرقص ... تميل على هند وتضبط يدها في

ابتهاج ... فتتحنى بها جانبا وتقول متحمسة : «

إنه يحبني ... يحبني ...

هند : « متسائلة في سداجة » من ؟ ... الأمير ؟ ...

عبلة : « ضاحكة في استهزاء » الأمير أمره واضع ...

هند : « متعجبين عنبرة ؟ ... » في سداجة « ولماذا إذن

تركته ينصرف كالطريد ؟ ...

عبلة : « لائعي بالرد على سؤالها ؛ بل تجذبها من يدها

وتصيح ، إلى الرقص ... إلى الغناء ... هيّا ...

« ترك هنداً ... تعود إلى الأمير عمارة

منشدية فرحة ... هند تقف فاعرة فاعاً »

ديعاج : « وقد اقتربت من هند ، لا تعجبي يا هند ...

لا تعجبي ... مازلت طفلةً يا صغيرتي ! ...

« الغناء والرقص يبدآن ... الأمير عمارة

براقص عبلة »

القصة السادسة

« بقعة رمالية وراء الجبل يبدأ منها
 « فم الشعب » وهو الطريق الوحيد الذي
 يصل مناطق الصحراء بضارب بني فهد ،
 ونعيم قبيلة الأمير عمارة الكندي ...
 يبدو الأمير عمارة الكندي وهو ممسك
 بزمام اجمل الذي عليه هودج عبلة ذو اللون
 العنابي ، خافه الركب من الأعوان والأتباع »

عمارة : « يقف جمال الهودج ، حطّوا الرّحال لحظة
 يا رجال ، حتى نصلح من شئوننا ، ونعدّ أنفسنا
 لاجتياز هذه الشعب الوعرة ... » يصفق ناحية
 الهودج ، عبلة ... عبلة ... « تظل عبلة من الهودج ،
 انزلى يا حبيبتى لنستريح بضريح لحظات ، ثم تتابع
 السير ... »

« يتلقاها بين يديه نازلة عن الهودج
 تنزل بعدها هند ... الأمير عمارة يربت
 يد عبلة ملاطفا مدلا ، ثم يواصل
 حديثه ... »

لن نتأخر طويلا ... سيكون وصولي إلى مخيمى
فى الوقت الذى عيّنناه ... إن أباك مع القوم هناك
ينتظرون قدومنا ... لأنهم ليدوبون شرقاً لاستقبال
أميرة كندة ...

« يقبل يدها ، لست أميرة كندة وحدها ؛ بل أنت
أميرة كل هذه البادية ...

عبلة : « يملو وجهها بعض السهوم ، أشكر لك أيها
الأمير ! ...

عمارة : « ما هذه الكلفة ' يا عبلة ؟ ... لقد طلبتُ إليك ألا
تُلقبني بالأمير ... قولى يا عمارة ... بل قولى
يا ... حبيبى ... !

عبلة : « هما يكن من أمر فراسم الزواج لم تتم بعد ...
أتقيم وزنًا للألفاظ ، وأنت عليم بما يُكنّيه لك
قلبي ؟ ...

عمارة : « يقبل يدها مشغوفاً ، شكراً ... شكراً لك
يا عبلة ... والآن سأذهب للإشراف على الأنباع ...

— ٢٢٦ —

وسأعود إليك بعد قليل ...

« الأمير يخرج ... عبلة وهند تخطوان

بضع خطوات »

عبلة : أف ... أف ...

هند : ولم التأفف ؟ ...

عبلة : من وقدة الحر ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . »

هند : « تنظر إليها مسترربة ، حقاً إن الحر لا يطاق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها أيضاً . . . »

ولكنني مع ذلك أرى الجوّ رخيئاً النسبات ...

كل الناس يقولون : إننا محظوظون بالخروج هذا

اليوم ...

عبلة : ماذا تقصدين بكلامك هذا ؟ ...

هند : لا شيء ! ... « بعد صمت قصير ، أف ... أف ... »

عبلة : ماذا ؟ ...

هند : الحر ... لا يطاق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . »

- عجلة : أتهزئين بي ؟ ...
- هند : معاذ الله ...
- عجلة : إذن ...
- هند : بي ضيق شديد ...
- عجلة : أفي يوم عُرسي تحسّين ضيقاً وهمّاً ...
- هند : « تحدث فيها ، لا أستطيع أن أحسّ السعادة يا عجلة ،
وأنا أراكِ تُزفينَ إلى الأميرِ مُعمّاة ...
- عجلة : وإلى من كنتِ تودين أن أزف ؟ ...
- « هند تنظر إليها في صمت ، ثم تهم
بالكلام ، فتسبقها عجلة »
- لا أريد أن تلفظني باسمه أمامي ... لا أريد ...
المتعطر ... المغرور ...
- هند : « كأنها تتحدث إلى نفسها ، إنه وربي لمَظَلوم ...
- عجلة : اسكُتي ولا تُطيلي اللجّاج ! ...
- هند : ماذا كنتِ تريدن منه أن يفعلَ بعد أن رأى منك
ما رأى ليلةَ الغدير ... غدير ذات الإصاَد ؟ ...

— ٢٢٨ —

عبلة : لا أريد منه أن يفعل شيئا ... إني أكرهه ...
أما قسّمته ... أسامة ؟ ... لقد ظنّ بعد عودته من فارس
أنه ملائكة الأرض ، واستعملت سلطانه على مناط
الجوزاء ! ... أما الآخر ...

هند : الأمير عمارة ...

عبلة : خاطبي ... زوجي ... حبيبي ، فإنه مثالي الرجل
الكامل ... وإني أحبه ، وأنا سعيدة بزواجه ...
« تسير محتاجة بضلع خطوات ، ثم تقول ،
أف ... أف ...

هند : الحر لا يطلق ! ...

« تسير عبلة وقتاً جيئة وذهوبا في
الاحتياج . . . هند تجلس على سخرة وقد
أسندت وجهها إلى كفيها . . . تقف عبلة
بجأة أمام هند
عبلة : إنه لم يحضر لمشاهدة عرسى . . . وإني بذلك
لفريرة الدين ...

هند : « وهي على حالها » لقد خرج لغزو بني فهد ...

عبلة : ولماذا اختار لهذه الغزوة اليوم الذى اخترناه نحن
لحفلة العرس ؟ ...

هند : يقولون إنه استخبر المذبحمين ، فبينوا له هذا
اليوم ، وقالوا إنه له يوم سعيد ...

عبلة : بل سيكون أشأم يوم في حياته ... إنى لأرجو أن
يلقى من بنى فهد شر هزيمة وخيبة ...

هند : ما هذا القول يا عبلة ؟ ... إن هزيمة هزيمة لقومنا ...

عبلة : لقومكم أتم ... إنى اليوم إلى كندة أتسب ...
كندة العظيمة ...

هند : سيتنصر عترة ... ما من ذلك بد ...

عبلة : سنرى ...

هند : أفى ذلك تشككين ؟ ...

عبلة : ماذا ترجين من رجل أضفى زير نساء ، حليف
شراب ؟ ... أبقيت عنده للحرب همة ؟ ...

• يظهر الأمير عمارة محوطاً بأمواله

• وأتباعه

— ٢٣٠ —

عمارة : « للجمع ، هياؤا ... شدوا الرِّحال ... ولنمضِ
على بركة الله ... »

« الجمع يتها ... يقبل حرس
مـهـرولا »

الحرسى : « للأمير عمارة ، سيدى الأمير ...
عمارة : ماذا ؟ ... »

الحرسى : « إن رجال عنترة قد ظهروا على حين فجأة ، واحتشدوا
على « قسم الشعب ، يبتغون أن يأخذوا الطريق قبل
أن نأخذه ... »

عبلة : « يا لكذّاهية ! ... يريدون أن يجتازوا الشعب قبلنا ،
فيسدّوا علينا الطريق ، ويرهقونا بالتعبار ...
بحال ! ... »

عمارة : « اعترضوا طريقهم ...
الحرسى : « لقد فعلنا ... ونخشى أن يلتحم الفريقان ... »

« تسمع شجرة يتبين الجمع فيها صوت عنترة
يجلجل ... بعد لحظة يظهر في لة من أنصاره ... »

— ٢٣١ —

عنتره : « للأمير عمارة ، أبا مريك مُنِعَ رجالى من نزول
الشعب ؟ ...

عمارة : نعم ...

عنتره : ألا نعلم أنهم رجالى ، وأنى ماضٍ بهم لغزو بني فهد ؟

عمارة : لقد جئتُ بركبى فى هذا المكان قبلك ، فلى أن
أتقدمك فى السير ...

عنتره : ركبك ؟ ... قالت لك لى قائمٌ لغزو بني فهد ،
فَنَحْجُ رجالك عن الطريقِ بسلام ...

عبلة : « تتقدم شامخة الأنف ، إنه ركبى أنا أيضاً ، وسيمرُّ
قبل جيشك ا ...

عنتره : « ينظا هر بأنه لم يردا حتى الآن ، أميرة كندة ؟

تحياتى وإجلالى ... « ينحنى محييا ، أعلم أن الركب

ركبُ عرْسك ، ويسوفنى أن ينشبَ بينى وبين

الأمير خاطبك هذا الخلاف ... أما نصحت له بأن

ينتحنى برجاله جانباً ، ويدعنا نمرُّ بسلام ؟ ...

عبلة : أنصحُ له أن يُفصيك ورجالك ... « مخاطب الأمير

— ٢٣٢ —

عمارة ، لن يمرُّوا قبلنا ... لن تتقدمَ ركبٌ عُرسي
هذه الشرذمة التي يسوقها عنثرة ! ...

عمارة : لن يمرُّوا قبلنا أبدا ...

عنثرة : « يصبح برجاله ، اسبقوا إلى الطريق ... لا يصدكم
عنه أحد ... إن الوقت قد أُرِف ...

عبلة : « للأمير عمارة ، اشهرْ عليهم السيوف ! ...

عمارة : « مجرداً سيفه من غمده ، سيكون هذا يائنا حكماً ...

عنثرة : « نريد قتالي ١٩ ...

عمارة : « إني مبارزك ... احم نفسك ...

عنثرة : « إني لأثرني لك ! ... « مجرد حسامه من غمده ،
سأتمهلك بدض الوقت لتتروى في الأمر ...

عمارة : « قلت لك احم نفسك ! ...

عنثرة : « يا عمارة ... ما زلتَ غضَّ الإهاب ، ولكَ عَرُوس
حسناء ! ...

عمارة : « لا تزد ، وإلا اخترتك سبي ، ولات ساعة
منندم ! ...

— ٢٢٣ —

عبلة : « للآبِير عِمَارَة ، لَا فُضَّ فُوكَ يَا حَبِيبِي ! ...
عَنْتَرَة : بَرِّغَمْسِي أُبَارِزْكَ ، وَبَرِّغَمْسِي سَاقُتْكَ ، وَأَشْهَدُ رَبِّي
عَلَى ذَلِكَ ! ...

« يلتقي الفارسان في مباراة مرعبة ...
سرعان ما يهجم عنترَة على خصمه هجمة
قوية ... عبلة تراقبهما منوهة بأنهما من
أجلها يقتلان ! ... عنترَة يطمئن الأمير
عِمَارَة في كنفه ... بسقط السيف من يد
الأمير عِمَارَة ويترنح في وقفته ... عبلة
تصيح يسرع عنترَة إلى الأمير عِمَارَة
ويلقاه بين ذراعيه ، ثم يقول . . . »

« أَصَبْتُ مِنْكَ مَقْتَتَلًا ؟ ... » يكشف عن الجرح ،
ثم يغتمم ، جُرح كبير ، ولا كفه ليس بالخطير ! ...

« الأمير عِمَارَة مضى عليه ... عنترَة مخاطب
رجال الأمير عِمَارَة »

« إن أميركم جريح ، وجُرحُه يتطلب حسنَ عناية
وسرعةَ علاج ... هلموا فاحملوه ! ...

« يتقدم بعض أتباع الأمير عِمَارَة فيحملونه »

« عودوا من حيث أتيت ، واخلّوا وجه الطريق ! ...

« ينصرف رجال الأمير عمارة به ويخولون

البقرة لعنته ورجاله . . . عنترة يخاطب

رجاله »

أَمَّا أَتَم فَاَسْبِقُوا إِلَى بَطْنِ الشَّعْبِ ... سَالِحٌ
بِكُمْ بَعْدَ هُنَيْشَةٍ ...

« رجال عنترة يشيرون إشارة الطلوع

وينصرفون . . . علة تلم شعثها وتهم

بالخروج في أثر جماعة الأمير عمارة . . .

عنترة يخاطبها »

إلى أين ؟ ...

علة : أَلَسْتُ بِخَاطِبِي الْجَرِيحِ ...

عنترة : لَدَيْهِ مِنْ يُعْنَى بِهِ ...

علة : إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ ...

هند : « مَغْنَمَةٌ ، إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى طَائِبٍ ا ...

عنترة : « لَعَلَّةٌ ، سَيُشْغَلُ عَنْكَ بِحُرٍّ ا ...

علة : إِنَّهُ يَحْبُنِي ، وَلَنْ يَشْغَلَهُ عَنْيَ شَيْءٌ ا ...

عنترة : أَنْتِ وَاهِمَةٌ ...

علة : وَأَنَا أَحْبُّهُ أَيْضاً ...

— ٢٢٥ —

- هند : لا أصدق ...
- عنتره : لعلك تريد أنك تُشفق عليه ... إن الفارس الممزوم لا يُحب ...
- هند : أمقت الممزومين ...
- عبلة : أحبه ، وأريد أن أُنغى بجرحه ...
- « تم بالمعنى ، فيتصدى لها عنتره واقفاً في طريقها فتقول ، دعني أنصرف ... »
- عنتره : أنسيت يا حسنائي أنك أصبحت سبيتي ؟ ...
- « عبلة تقف أمامه عاقدة يديها على صدرها »
- عبلة : أنا سبيتك ١٤ ...
- هند : « متطلعة إلى عنتره في سرور ، وأنا ١٤ ... »
- عنتره : أنقبّلين أن تكوني سبيتي يا هند ؟ ...
- هند : إنه لشرفٌ يا عنتره ...
- عنتره : أنت فتاة رقيقة العاطفة ...
- عبلة : أعلم أني لست رقيقة العاطفة ... لن أرضى أن أكون سبيّة أحد ...

— ١٣٦ —

- عنقرة : لا يطلب رضاك أحد ... لقد نلتك سديّة
في قتالي مع الأمير ، وستظالين في أسرى ا...
عبلة : وتحقق فيه برهة صامنة ، ثم تقول ، وماذا أنت
صانع بي ؟ ...
عنقرة : لن أضحك إلى جوارى ... سأينك ا...
هند : أَرْضِ أَنْ أَشْتَرِيَهَا مِنْكَ ...
عنقرة : ولماذا ترغين في شرائها ؟ ...
هند : لأهيك إياها ا...
عبلة : أوثر أن أبيعَ في الأسواق ...
عنقرة : هذا ما اعتزمتُ صُنْعَهُ ا...
هند : وهل تساوي كثيراً ؟ ...
عنقرة : « يدور حول عبلة متفحفا ، ثم يقول ، لا أظن ا...
عبلة : ولماذا تبيعني إذن ؟ ...
عنقرة : لا رغبة لي في الإبقاء عليك ... إن خبائى يغص
بالجوارى ا...
هند : « فى مداعبة ، قد تنفعك ا... لأنها ماهرة فى

— ٢٣٧ —

كل شيء ... في حَلَابِ النِّياقِ ، وصُنْعِ المَجِيعِ ،
وعَمَلِ الثَّرِيدِ ...

عبلة : إن عنقرة ليس في حاجة إلى من يحملُ نياقه ،
فهو ماهر في حَلَابِها . . . كان يحملُها ويأْتيني كلَّ
صباحٍ بِلَبَنَها ... !

عنقرة : أنا ؟ ...

هند : لا تستطيعُ الإنكار ... أنا شاهدةٌ عليك !

عنقرة : كان ذلك فيما مَضَى ...

عبلة : والآن ... ألا تَرْضَى أن تحملُ لي النِّياقَ ؟ ...

عنقرة : لن أحلبَ نياقاً لأحد ... قلتُ لك سأبْشُرُك ! ...

هند : وهل يَرْضَى قلبك بهذا ؟ ...

عنقرة : يَرْضَى ... يَرْضَى ...

هند : وجُبُّك لها ؟ ...

« إَقدم فارس »

الفارس : « لعنقرة ، إن الجيشَ على أتمِّ أهْبةٍ ... والوقتُ

قد أَرَفَ ...

— ٢٣٨ —

عنتره : ابدكوا السير ... واحضروا هودج عبله ...

الفارس : ديناى ، هودج عبله ...

» يظهر هودج عبله محمولا على جبل ...

يناخ الجبل على مقربة من عبله . . . »

عبله : إلى أين أنت ذاهبٌ بي ؟ ...

عنتره : سأخذك معى فى غزو بنى قيس ...

عبله : أرغبُ فى العودة ...

عنتره : ستطيعين أمرى ! ...

عبله : لا أمُرَ لأحدٍ على ؟ ...

» تتحيز للهرب ، فيمسك بها عنتره ،

ويحملها إلى الهودج ، فتصبح وتحاول

الانفلات منه »

عنتره : لن تُفلاتنى منى ، ألم أقلُ لكِ إنك أصبحتِ أسيرتى ...

سَبِيَّتِي ؟ ...

عبله : « وهى بين ذراعيه ، تحاول التملص منه ، دَعْنِي ...

دَعْنِي ... إن ذراعيكَ تَدَقَّانِ عِظَامِي ... !

— ٢٣٩ —

عنتره : سارو ضُكِ على أن تكوني أسيرتي ...

« يضمها في المودج ... هند تدخل

وراءها ... عنتره يصبح : « . . . »

قيامًا ... قيامًا ...

« ينهض الجبل ... عنتره يصبح : «

إلى بني فمُند ا ...

ختم

الآيات في هذه القصة مقتبسة من
الشعر القديم ، إلا أن شرده عنتره لعبلة
التي مطلعها : « أنتِ للعين ضياء » ، فقد
نظمت لهذه القصة خاصة .

[رقم الإيداع ٣١٢٩ لسنة ١٩٧١]

من مؤلفات «محمود تيمور»

(د) رحلات :

- ١ — أبو الهول بدير
- ٢ — شمس وليل
- ٣ — جزيرة الجيب

(هـ) قصص تمثيلية :

- ١ — صقر قرش
- ٢ — سماد أو اللحن الثاني
- ٣ — المذقة وحفلة شاي
- ٤ — الخبأ رقم ١٣
- ٥ — المزفون
- ٦ — فداء
- ٧ — اليوم غر
- ٨ — ابن جلا
- ٩ — قنابل
- ١٠ — حواء الخالدة
- ١١ — طارق الأندلس

(و) دراسات لغوية وأدبية :

- ١ — مشكلات اللغة العربية
- ٢ — دراسات في القصة والمسرح
- ٣ — طلائع المسرح العربي
- ٤ — اتجاهات الأدب العربي
- ٥ — القصة في الأدب العربي
- ٦ — معجم الحضارة (قاموس)

(أ) مجموعات قصصية :

- ١ — كل عام وأنتم بخير
- ٢ — مكذوب على الجبين
- ٣ — شفاه غليظة
- ٤ — إحسان لله
- ٥ — انتصار الحياة
- ٦ — قال الراوى
- ٧ — أبو الشوارب
- ٨ — دنيا جديدة
- ٩ — تمرحنا عجب

(ب) قصص مطولة :

- ١ — كيويأترا في خان الخليلي
- ٢ — سلوى في مهب الريح
- ٣ — نداء المجهول
- ٤ — شمروخ
- ٥ — معبود من طين

(ح) صور وخواطر :

- ١ — ملامح وغضون
- ٢ — النبي (الأنبياء)
- ٣ — شفاه (الزواج)
- ٤ — عطر ودخان

